مناقشات

رسالة شخصية

الى الاخ جلال السيد من القاهرة

بقلم مطاع صفدي

اولا احب ان احيي الاخ جلال السيد من القاهرة ، فهو ولا بد واحد من موجة جديدة ياخذها الحماس للادب والانفعال والتوتر الفائر . وهو واحد مع ذلك من اولئك الطيبين حتى في سلبيتهم وحنقهم .

والاخ جلال حانق من اجل صديقه السيد « محفوظ عبد الرحمن » الذي تعرضت له بالنقد في قصته المنشورة في عدد « حزيران » الماضي. وهو كذلك لايريد ان يحاسبني من اجل هذا النقد ، ولكنه يود ان يضع شخصيتي الادبية في ميزان التقديم والتقييم . فلا ادري ، اهو غاضب من اجل صديقه ، او انه غاضب علي اولا ، ثم « طبق » غضبه ذاك حين سنحت له مناسبة النقد ذاك .

وانا يا اخي ، سامحك الله ، لست من اكلة لحوم البشر ، كما صرخت صرختك تلك في عنوان مقالك . ولكننا جميعا ملقى بنا بين انياب ذواتنا ، وخاصة عندما يعصف الغضب والحنق بهذه الذوات .
وتناقشني ايضا لانني قدمت لنقدي بحديث قصير عن واقع الادب الحالي ، وعن مصير القصة خاصة . وتتهمني مباشرة ، بعد تهمةالعنوان الاخاذ « الاكلون لحومهم .. ولحوم البشر » بالبهلوانية ، ومن « اختلاط افكار هذا الاديب الموضوعية بانطباعاته الذاتية » على حد تعبيرك .

فماذا تعني عندك البهلوانية ياصديقي ، اتكون هي هذه القفزات من الافكار الموضوعية الى الانطباعات الذاتية . ولعل هذا ماتريد ، او انك الححت على مقارنة رأيين من ارائي كنت عرضتهما . احدهما مرتبط بمقال نقدي شامل هو « ازمة البطل المعاصر » ، وفيه بينت صعوبة الموضوعية في النقد ، ان كان هذا النقد عملا ابداعيا اخر ، يتطلب فنية الناقد وزخمه الذاتي ، اكثر مما يتطلب من موضوعية العلم الباردة . والراي الثاني الذي اوردته ، كان مرتبطا بمقال النقد الموجه للقصص. وفيه قلت عرضا « ولابحث اولا عن النقاط الايجابية التي لابد لكل نقد بناء موضوعي من الكشف عنها . »

انت على حق ياصديقي ، فهناك تناقض ظاهر بين الرأيين . ولكن هل تأنيت معي قليلا لنبحث سوية حقيقة هذا التناقض .
انني مازلت اصر على ان النقد ، بالمعنى الذي افهمه وبينته في دراستي عن ازمة البطل المعاصر ، وطبقته مطولا في كتاب« الثوري والعربي الثوري » ، النقد المبدع هو عمل انتاجي اخر مستقل عن الاثار المنقودة، انه خلق جديد لمعانيها وافاقها . وهذا الخلق يتأثر بفنية الناقد ، ولا فنية الا وهي محصلة مبدعة لذات الناقد . ولقد استعملت في ذلك البحث ، كلمة الذاتية مقابل الموضوعية في العلم . ولعلك تدرك معي ان اللفظ يتخذ حده من المعنى ، حسب السياق التعبيري الذي يوجد فيه . وبما اننا لم نحدد بعد الفاظنا المتداولة بالدقة القاموسية المطلوبة ، فان هذه الالفاظ تظل قابلة لكثير من اللونيات تبعدها قليلا او كثيرا عن دلالتها الاصلية حسب مجرى السياق الذي توجد فيه ، كما قلت .

فالموضوعية الواردة في البحث الذي اشرت اليه انت ، كان يقصد منها هذا النظر البارد للانتاج الادبي ، الذي يقطع كل صلة تفاعل حي بين الناقد وبين الانتاج . فانا انكر مثل هذه الموضوعية ، ولعلك تنكرها معي ايضا . لان موضوع الادب هو شيء اخر ، غير موضوع العلم ، والطريقة التي تنفع في فهم الاول ، تضر حتما في فهم الثاني وبالعكس .

واما عندما استعملت كلمة الموضوعية ثانية ، في مقدمة نقدي للقصص فلقد عنيت منها الحياد والتنزه عن الغرض بالنسبة لما ساحاوله في عملية النقد . خاصة واننا نشكو من التعمل والغرضية المنحازة في اكثر مايسود الكتابات النقدية ، ان سلبا وان ايجابا .
احسب ياصديقي ان هذا التناقض اذن هو في حدود اللفظ فقط . وارجو الا تتشبث به .

ثم انك تقبض علي ايضا متلبسا باحراج اخر . فانا في مقدمة النقد أشجب تمسك الناشئة من كتابنا الشباب بالتعلق بكليشيات العصر :الحزن الضياع ، القلق ، الضجر ، الموت . وتذكرني بانني واحد رائد في هذا الميدان .

وهذا ايضا صحيح ياأخي جلال . بيد انني احب ان احيلك الى مقالي المنشور في عدد « آب - أغسطس » عن « الفكر القومي امام مستقبله » وتجدني فيه انفي ذهنية معينة تسيطر علينا في السياسة وفي العمل الثوري ، وتمد كذلك بسلطانها الى انتاجنا الادبي ، الا وهي التعلق بالشعارات ، ذهنية الشعارات . وفي ادبنا المعاصر شعارات عالمية ومحلية ، انها تشتق نفسها من فكرة الضياع وتوابعها ، الثورة وتوابعها ، وقد يكون الشعار صحيحا في حد ذاته ، وله ارتباطه الواقعي بحياتنا . ولكن فرق بين ان نرفع الشعار المتداول دون ان يكون له مضمون حقيقي يرتبط بوجودنا ومصيرنا الخاص ، وبين ان نصعد من هذا المضمون اولا لنصل الى الشعار . وكل مشكلات الزيف والاصالة تتارجح بين هذين الحدين .

وانا عندما نعيت هذه الظاهرة ، واعتقد انك معي في ذلك وكثير غيرك ممن يتابع الحركة الادبية ويتحرق من اجل الاصالة الضائعة ، عندما فعلت ذلك لم اكن اعني مباشرة قصة ما . ولكن مع ذلك فان قصة الاخ « عبد الرحمن » قد استعبدها في الواقع شعار هو « الحزن » . ولو رجعت ثانية اليها ، لاحصيت من كلمان الحزن ومشتقاتها عددا كبيرا ، تستطيع ان تستغرب حشده ذاك في قصة قصيرة .
الحزن والقلق ، وبقية القاموس، حقائق موجودة في حياة اجيالنا الحاضرة . بل انها تلعب دورا مؤصلا لتجربة هذه الاجيال . وليس في الحديث عنها ما يعيب . الا ان العيب ان نبدا من الالفاظ ، ومن شعر الالفاظ ، وان ننسج شرنقتها حول قلمنا ، ونخنق تجربتنا الخاصة ضمنها . المطلوب ان نقدم تجربة توحي بالحزن والقلق ، دون ان ترفع شعاره فوق رؤوسنا ، وتظل تلح عليه صارخة ، منادية عليه . كما لو كان بضاعة في يد سياسي محترف ، يجتر شعارات الجيل ، ويهجنها كل لحظة من خلال سلوكه .

ولقد اخذت على الاخ الكاتب ، انه يفتعل اسبابا ضخمة وراء احزان هذه الفئة من الشباب ، من مرض السل الى الفقر والاعالة الى السجن والقبح وفقدان الحب .. الا ترى معي ان اكثر افراد جيلنا قد يكونون محزونين قلقين ، دون ان تقبع وراء احزانهم مثل هذه المصائب الكبيرة. ولعل اكبر ما يميز قلق العصر ، كما بين فلاسفتهالعالميون ، انه يكاد يكون بدون اسباب مباشرة ، بدون علل مادية ظاهرة . انه جو عام تتنفس فيه حضارة تتنازعها شتى المخاوف . فاذا كان هناك اسباب لهذا القلق ، فهي اسباب كلية ، لا تر تبط بفرد معين . ولهذا سمي هذا القلق بانه ميتافيزيقي . وسمي عصرنا بانه العصر الذهبي للميتافيزيقا ، لانها اصبحت تملك ذلك المضمون الانساني الكلي .

وانك تخطيء يا اخ جلال ، عندما تتصور حقا انني حاولت ان اهدم قصة صديقك ، وان آكل من لحمه على حد تعبيرك . فلقد كان احتجاجي ينصب بالدرجة الاولى على مضمون القصة هذا ، على سوء معالجته لموضوعة الحزن والقلق ، فجاءت هذه المعالجة تعتمد على عنصر التضخم في تصوير مأساة الابطال ، حتى التهمت خصوصية الشخصية الفردية لكل بطل على حدة ، وحتى امكن أن نسند مصائب الواحد للاخر لولا اختلاف الاسماء فقط .. وهذا هو سر الالتباس الذي وقعت انـا فيه عندما اسندت اسما لشخصية بدلا من اسمها الحقيقي.

والواقع انني اعترف لك بهذا الخطأ . ولكن مسؤوليته لا تقع كلها علي . فكما اوضحت لك ،ان ضعف التحديد لخصوصية الشخصية هذا الضعف الذي صيرها مجرد قالب او قشرة ظاهرية ، معبأة بنفس الكمية من مادة الحزن . والاسلوب الذي ظل واحدا رتيبا في معالجة مختلف هذه الشخصيات .. هذا كله احد العوامل الذي تجعل ملامح الشخصيات في ذهن القاريء عبارة عن عناوين باهتة لموضوع انشائي في الحزن والكآبة .

وكان احتجاجي ثانيا على جزء من فنية القصة ، وهو هذا الحشد من الاسماء الكثيرة (نبيل ، زكي ، اسماعيل ، عواطف ، انعام ، عايده، وشخصية الدكتور) كل ذلك في قصة قصيرة لا تتجاوز الاربع او الخمس صفحات من المجلة . ولقد قلت ان كثرة الاشخاص في القصة القصيرة ، ليس عيبا مبدئيا ، كما قد يظن ناقد تقليدي . ولكنه عيب خطير عندما يعالجه قلم ناشيء ، فهو سيعجز حتما عن اعطاء الملامح المحددة لنماذج الشخصيات وانماط سلوكها ، وعن ترسيخ ذلك في وعي القاريء . ويعمل الاسلوب الرتيب الواحد ايضا على التهام الفروق الباقية ، ويجهز عليها كذلك ذلك المضمون الواحد من الحزن وغيره .

وانت أصررت على ان الكاتب قد عالج شيئا اخر غير الحزن وساءك انني قلت ان هذه القصة هي قصة عن الحزن والمحزونين . ولاتبع اذن معك عملية الحصر التي اتبعتها معي .

ولنبدأ من الالفاظ ، كما فعلت انت ايضا تجاهي :

قلبي يتمزق باصداء اغنية فيروزية حزينة – يملأ نفسي برغبة في البكاء – لماذا انت حزين هكذا – الموت ! يا للحزن ! – ارجوكم الا تحزنوا – لو حاولتم ان تحزنوا من اجلي – اطلب منك ان تحزني ... ان تحزني قليلا .. ولو الحزن القليل (كل العبارات الاخيرة في سطرين فقط) – ايها الحزن اذهب – لم تعرف الحزن المر – ان الذين لا يبكون اكثر الناس – ان يخفي الحزن الذي – وهل حزنت من أجلها – هل حزنت عندما تركتك حبيبتك – لكنني حزين اكثر معك – ليست المشكلة التي تحزنك – حتى ولو كان حزينا – ماذا انا بدونها ، انني حزين – وضحكا عليه وحزنا من اجله .

واخيرا هذا الاعلان الكبير في هذه الخاتمة :

(وسنجلس عندئذ نجتر احزاننا .. قد ينتهي هذا الحزن)؟ انك يا يا اخ جلال اقسرتني على تبني اسلوبك ، رغم أن ذلك « يحزنني » ، أترى وقعنا تحت لازمة صديقك ، او فلاقل انه الاسلوب الموضوعي الذي تحبه.

انك تخرج من هذه القصة ، وليس في راسك سوى صدى هذه (الاحزان) من الفاظها فقط ، هذا عدا عن الاوصاف والعبارات والمواقف كلها ، التي تؤلف رتابة عجيبة حول معنى واحد وصورة واحدة ، هي الحزن والحزن ولا شيء غير الحزن.

اتراني سأغضب مثلك . كلا فما زالت امامنا مراحل اخرى . وقبل أن ننتقل الى المراحل الاخرى ، اذكرك بانني لم اكن انوي تهديم تلك القصة ، لا عن سوء نية ، فلا اعرف الكاتب ولا اعرف المدافع عنه ، ولا عن سوء فهم، لانني احسب انني قد اكون على الاقل مؤهلا لفهم مثل هذه القصة برأي الاخ جلال . ولقد ابرزت قيمة القصة الفنية ، وقلت بالحرف الواحد : « ومع ذلك فان هذه القصة تعتبر نسبيا افضل ما حواه العدد الماضي من القصص . فهي ذات ايقاع فني غني بالتأثيرات الجزئية . كما ان الكاتب يبدو انه يحاول جهدا جديا لبلوغ هدف شاق في البناء القصصي .» ثم انهيت كلامي بهذه العبارة التي تتفاءل من مستقبل الكاتب : (وللكاتب اخيرا مستقبله وطريقته في قصة متنامية حقيقية).

والان لننته من موضوع القصة ، ولنتحدث فيما بيننا ، انا وانت يا اخ جلال ..

الحق اقول لك انني احببت غضبتك من اجل قصة صديقنا معا الاخ عبد الرحمن . فانه من النادر اليوم ان يتحمس صديق من اجل كاتب صديق اخر له . ولقد حمدت لك ذلك صبرك في تفنيد نقدي وغضبك كذلك علي كليا ، لا من اجل هذا النقد ، ولكن من اجل اشياء كثيرة في ادبي وفي شخصيتي ايضا . فانا ايضا ممن يغضبون ، وممن يسلكون ويكتبون بغضب . وقليلا ما همني المنطق رغم انني اعمل في ميدان الفلسفة . ولعل بعض القراء والاصدقاء يأخذون علي هذا الغضب . ولكن صديقي الاستاذ (صدقي اسماعيل) كتب مقالا في مجلة « المعارف » في عدد تموز حلل فيه الغضب والغاضبين ، واكتشف شيئا ايجابيا حلوا وراء الغضب ، فهو يدفع الى الابداع والفتح وخلق القيم الجديدة وتحطيم البالي منها .. لعل هذا يرضينا نحن الغاضبين .

ومع ذلك الا ترى معي يا اخي جلال ، ان حماسنا المفرط قد يجني حتى على من نحب . فما زال من عيوبنا جميعا اننا لا نصبر على نقد ، ولا نأمن لملاحظة سلبية توجه لاعمالنا العادية او انتاجنا الادبي والفني وحتى السياسي. وربما كان ذلك لان من يصدر الملاحظات، ومن ينتقد ، انسان لا نثق بامانته الانسانية ، لانه قد يكون فاقدا لعنصر الفهم او حسن النية .

او يمكن ان نقول ان الاخ عبد الرحمن ينكر اخطاءه . او لست تسيء اليه انت بمنطقة التحريم التي تضربها حول خطواته ، وهو بعد ما زال في بدء الطريق .

دعه يألم قليلا من نقد مخص ، بدلا من ان يألم من تجريح مفرض او مدح كاذب .

ولقد كان يا اخي نصف مقالك دفاعا عاطفيا عن صديقك ، ونصفه الاخر تجريحا عاطفيا لي انا ايضا .

وهكذا نصل الى هذا النصف الاخر من الموضوع . والحق اعترف لك انني ترددت قبل ان ابحث معك ما سأبحثه الان . وذلك لان الموضوع شخصي اكثر منه ادبي ، ولانه يدخل جزءا من هذا الطوفان الذي نغرق فيه ، في صحفنا المحلية ومجلاتنا الادبية ، طوفان التجريح المتبادل والاهانات المتداولة .

ولكنني بما انني ابتدأت فلن اقطع ما بدأت به . ولنأخذ من وقت القاريء شيئا اكثر . ولعله راغب في متابعة هذه المساجلة. لان ذلك امر سيكلوجي يحبه اصحاب المجلات ويتفننون به كما اعتقد ، فذلك تعبير عن (الحياة الادبية) في رأيهم (١) .

---

(١) تعليق « الاداب » : نقر الكاتب الكريم على ان هذه المجلة تحب المساجلات ، لكننا نشترط لهذه المساجلات ان تحمل فائدة عامة للقراء، وتبتعد عن المهاترات والدعايات وتترفع عن الاحقاد والمسائل الشخصية. ولكننا لم نقل يوما ان هذه المساجلات ، اذا كانت كذلك ، كانت تعبيرا عن « الحياة الادبية » كما يقول الكاتب وانما هي فقط عنصر من عناصر النشاط في الحياة الادبية .

لقد بدأت يا اخي جلال مقالك بذلك العنوان الرهيب (أكل لحوم البشر) . ثم الحقته بتعبير اخر منذ السطرين الاولين ، فقلت قرأت نقد القصص الذي كتبه مطاع صفدي في العدد الماضي من مجلة الاداب فاكتملت بذلك الصورة التي حاولت جاهدا ان اكونها عن ذلك الاديب الخ

انك لم تقل للقراء عن فحوى هذه (الصورة) التي (حاولت جاهدا ان تكونها) . ولكن مما لاريب فيه ، فان هذا المحتوى سلبي تماما . ولقد تعبت حتى حصلت على البرهان. وكان برهانك يا صديقي في هذا (النقد) المسكين الذي وجهته لصديقك .

اشكر لك جهدك في متابعة تأليف هذه الصورة . وفي صبرك الطويل على قراءة كل ما كتبت في الاداب وما كتب عني منذ سنين طويلة ، فهذا يعني يا اخي انني موضع اهتمام ما عندك !

واما فحوى الصورة ، فهو مهما يكن ، لا شأن لي به ، لانه من صنعك ومن اختيارك . ولا استطيع ان افرض على كل قارىء ما احب ان يأخذه عني . والكاتب يعمل وينتج ويقدم امكانياته ، وللاخرين من القراء ان يحبوا ما يحبونه فيه ، وان يكرهوا مايكرهونه. خاصة اذا كان ما يقدمه ذلك الكاتب تجربة تحتمل الموافقة من البعض والرفض من البعض الاخر . والادب الحق ، هو الذي يثير في البيئة الثقافية ، ما تثيره اية ظاهرة ثورية في مجال الواقع . انه يفتح جبهة ويضم انصارا ، ويكشف اعداء له .

ولكنك مع ذلك يا صديقي ، لا اجزم انك ستنشىء فحوى سلبيا كله عن ذلك الاديب (مطاع صفدي) الذي يعاني التناقض والقلق في قصصه وانتاجه ، والذي يثير غضب الكثيرين ، واهتمام الكثيرين ايضا. ذلك هو شأن من يؤمن ان الكلمة هي عمل فاتح او هي جبهة انسانية دائمة .

وشيء اخر فان الاخ (جلال السيد) من القاهرة ، قد ادرك انه في مقاله ذاك ينزلق باستمرار من دحض النقد الى تناول جوانب مختلفة تارة من ادب الناقد وتارة من شخصيته دون اي ارتباط ظاهر مع موضوع الرد . فهو يقول مباشرة (ربما يتساءل البعض وما علاقة هذا بنقد القصص ؟) وهو يجيب على ذلك بطريقة غير مقنعة . واما انا فأجيبه عن السبب الصحيح ، ولكن بعد ان اعرض لطريقته هو في الاجابة .

انه يقول هكذا : ((ولكنني اقول ان المتتبع للاستاذ مطاع لم يفاجأ بما قال ولن يفاجأ بما سيقول ، ولكن الذين فوجئوا بنقده اسوق اليهم هذا حتى تكتمل الصورة)) .

وانني اود منه ان يوضح هذا الكلام . فكيف يفاجأ من يقرأ ذلك النقد ، وماذا في النقد يا اخي . اكان عندك مفاجئا مرعبا لهذه الدرجة ، حتى تخشى كذلك على الاخرين من هول الصدمة . ماذا فعل الناقد بربك ، هل قوض العالم ، ام انه حطم الادب ، او انه انتهك كرامة المقدسات . لست تغالي يا صديقي قليلا . الست تغضب انت اكثر مما تصور انني سأغضب منك ! الست بذلك تقع تحت استبداد ذلك السبب الذي يجعلك تنزلق من رد على نقد الى تجريح غريب .
ولننس هذا ايضا .

ان الاخ جلال السيد يستشهد ثانية ببعض عبارات اجتزأها من قصة قديمة لي هي (معبد بوذا) ليحاول ان يقول للقراء ، ان مطاع صفدي لن يرضى عن قصة الا اذا حوت مثل هذه العبارات ، المليئة بالغموض . ولكنك تدرك ان الكاتب يكره من يقلده ، ولو كان تقليد عيوبه . وانني أؤكد لك انني متمسك بالاسلوب الذي انتهجته لنفسي منذ اكثر من عشرة اعوام ، وانني لا احب كذلك ان يشوه بالتقليد .

ولعلك تغرب اغرابا يضر بموضوعية كتابتك ، عندما تجتزىء مقطعا اخر ، كنت قد وصفت به وضع الرواية الغربية ، فتحاول ان تقول عن لساني ، هكذا وبدون تدبر ، انني كلي اعجب بكل قصة ، عليها ان تحقق هذا الشرط . قبل كل شيء ، اذكرك انني قلت ما قلته في سياق تحليل وضع الانسان الغربي ، كما تتناوله الرواية الغربية. فان كان لك اعتراض على ذلك ، فقل ذلك في مناسبته فقط . واثبت لك ايضا ان هذا القياس سواء ارتضينا به ام لم نرتض به ، فانه مفروض على الكاتب الذي يحيا بحرية حضارته الحالية . ولو ذكرت ما قلته في بدايةتلك الدراسة (البطل مفروض على الكاتب) لتجنبت سوء الاستفادة من ذلك النص ، في سياق غريب عن الموضوع الاصلي .

والان ماذا دفعك يا سيد جلال الى ان ترمي هذا الحكم دفعة واحدة: ((والحقيقة ان هناك سوء فهم متبادلا او سخطا متبادلا بين الاستاذ مطاع صفدي وكتاب الاداب منذ عام ١٩٥٥ حتى وقتنا هذا)) - لقد اتهمتني يا صديقي بالتعميم والقفز وهانت تقع في نفس عيوبي ، حاشاك الله . انك تعمم عندما تقول ان سوء الفهم والسخط متبادل بيني وبين قراء الاداب منذ عام ١٩٥٥ . والاصح ان تقول ان هناك جزءا من القراء لا يحبون ما اكتب ، ويحقدون على ما اكتب . وقد تكون لهم اسبابهم . وهو امر طبيعي الا يكتسب اي كاتب مهما عظم انتاجه جميع القراء الى صفه. ثم انك تستدل على هذا من خلال الاختلاف الذي يقع بيني وبين بعض النقاد حول بعض قصصي ومقالاتي . وتتعب نفسك بدون طائل ، لتأتي بنصوص هذا الاختلاف . وهو كذلك كما اعترفت انت ، ليس عيبا ، بل انه امر عادي ان يكتب نقاد الى جانب اديب وان يكتب اخرون ضده. ولقد تعمدت ان تستشهد باقوال بعض النقاد الذين كانت لهم ملاحظات سلبية ، واهملت النقاد والاخرين الذين وجدوا بعض الحسنات فيما اكتب . وعلى سبيل المثال أذكرك ببعض هؤلاء ، ما دمت متابعا دقيقا لسيرتي في الاداب . هناك الدكتور يحيى حقي ، والدكتور عبدالله عبد الدائم ، والاستاذ محمد حيدر ، والاستاذ اورخان ميسر . وحتى هناك بعض الملاحظات الايجابية في نقد من كان سلبيا من اعمالي . ولكنني اعترف لك ايضا ان عدد من كتب سلبيا كان يفوق من حيث الكمية من كتب ايجابيا . ومع ذلك فاني قد اعتز ببعض التحليلات والملاحظات

عدد ((الاداب)) الممتاز

تقدم ((الاداب)) في مطلع العام القادم ، ١٩٦٢ ، على مألوف عادتها كل سنة ، عددا ممتازا في موضوع :

الاتجاهات الفلسفية في الأدب المعاصر

وسيكون حافلا بالدراسات العميقة التي تتناول بحث مختلف النزعات الفلسفية كما تظهر في الاثار المعاصرة للاداب العالمية .

النقدية التي تصدر عن كيفية او نوعية معينة من النقاد ومن حاولوا ان يفهموا ويتمثلوا انتاجي ، ويقارنوه مع مستوى ما يعرفونه من الثقافة العالمية ، ومن التجربة التي اصدر عنها.

واذا كنت تجرني الان الى مناقشة ما كان قاله هؤلاء الذين اوردت نصوصهم ، فانما افعل ذلك لاتابعك الى نهاية الشوط الذي فتحته يا صديقي بنية طيبة وحماس بريء، كما ارجو .

لقد رجعت الى ما كتبه الاستاذ (محمود امين العالم) بصدد مقال لي بعنوان « الشعر والارض » . والحق من المعروف انني والاستاذ العالم على طرفي نقيض من الخط الذي اتبعه في ثقافتي واسلوب كتابتي ، ومن الخط الذي يتبعه الاستاذ العالم . فهو ماركسي صلب ، وجد في فترة خطيرة من تاريخ تطور الثوري ثقافيا وسياسيا . وكان يعمل جاهدا هو وفئة من اصدقائه على ارساء مفهوم معين وحيد عن الفكر والادب والنقد . ومن الطبيعي ان يجد الاستاذ العالم ان ما اكتبه يتناول انسانا اسطوريا ، لانني لا اتحدث مباشرة عن الجائعين والكادحين، بالاسلوب الذي يريده العالم . ومن الطبيعي كذلك ان يعزي ثقافتي الى مصادر فلسفية لا يثق بها العالم ، لانه ليس لديه ما يؤمن به سوى ماركسية صرفية متزمتة . وفضلا عن ذلك فلقد كنت اول من يكتب بذلك الاسلوب الذي كان مفاجئا لعادات القراءة قبل سنوات ، واصبح فيما بعد مألوفا على يد كثير من الكتاب الشباب الاخرين .

واما الاستاذ خليل هنداوي الذي انتقد ان مقالتي الموجهة لديوان الشاعر يوسف الخطيب (العيون الظماء للنور) فانه من المعروف عنه ايضا انه ينتمي الى المدرسة الكلاسيكية في ادبنا العربي ، وهو محافظ ضد مزج الادب بالموضوعات القومية ـ كان هذا في الماضي ولعله تغير اليوم ـ واما معنى عبارته تلك التي اوردتها وهي « انتهيت من المقال وانا على اعتقاد بان في نفس كاتبه افكارا يوجهها نحو ما يريد قسرا ، دون ان يكون لها تعلق بالبحث » معنى هذه العبارة هي انني حاولت ان ابين من خلال دراستي للديوان مدى الصلة بين الشعر وبين نموذج الحياة العربية في الجاهلية خاصة . فلانني ربطت بين اتجاهي القومي وبين الديوان القومي ، اعتبر ذلك الناقد انني اقسر البحث على ما لا يخصه ، في مفهومه التقليدي عن نقد الدواوين المقتصرة على موازنة الالفاظ والمعاني والكشف عن صيغ البلاغة وضبط الوزن وغير ذلك مما هو مألوف في النقد القديم .

واما ما كان نقد به الدكتور سهيل ادريس قصة (معبد بوذا) فهو ايضا امر طبيعي لانه نابع عن موقفه من مفهوم القصة ، وكثيرا ما اختلفنا حول هذا المفهوم . فهو يتبع الطريقة الواقعية الطبيعية في كتابته للقصة القصيرة وللرواية ، وخاصة كما ظهر ذلك في روايته الاخيرة (الخندق الغميق) ، وانا اتبع طريقة مخالفة تماما تقوم في بعض خطوطها على الرؤية الداخلية للذات الانسانية وهي في وضع الازمة من اجل التاصيل في حقل الحرية . وهذا الهدف يتطلب اسلوبا غير مباشر ، وتشفيفا للواقع الخارجي ، من حيث تحديداته الشيئية ، وارهافا لمعانيه التي تنتقل للذات المعاينة ، لتجعلها جزءا من ازمة وجودها تلقاء العالم . كما تعتمد على شيء كثير من التحليل الانفعالي ، ومن تصوير الاجواء المبهمة في اعماق الذات الانسانية . ولذلك لم تكن القصة التي اكتب قادرة على المحافظة على اسس الادب الشائع ، من وضوح وتسلسل وشاعرية وبساطة في العرض والتحليل. ان كل ذلك لا يطيقه الموضوع الميتافيزيقي الذي اتصدى له . واذا لم تستطع ان تتقبل هذه الطريقة ، وكثير في البدء لم يتقبلوها ، فانك يمكنك اذن ان تحكم عليها بتلك الكلمات العامة التي هي رصيد احتجاج لمذهب ضد مذهب اخر . كأن تقول انه ادب تجريد ، وانه غموض ، وانه تعقيد وتضليل وخرافة ، وحتى ان تقول انه حرص ادبي . كل ذلك مقبول وجائز من وجهة نظر الادب الشائع في بلادنا قبل تفاعله مع الادب العالمي في ازدهاره الحاضر ضمن الرؤية الشمولية الميتافيزيقية.

ولكن يمكنك ان تعترض ، وهذا حق لك ، انني ربما لم انجح دائما في تطبيق هذا المذهب الذي اؤمن به . والحق فان النجاح يبقى مسالة نسبية دائما ، ولا مجال الان للتفصيل فيها .

واحسنت ايضا يا اخ جلال عندما اوردت اعترافي بان في كتابتي غموضا وعسرا . فانا ادرك واقيم ما اكتب . ولم اكن اعني ذلك طبعا الا من وجهة النظر المناقضة لموقفي.

وتاتي اخيرا باستشهاد نقدي للاستاذ رئيف خوري حول مقالي (الادب بين الحرية والاقتصاد) . وللاستاذ خوري ان ينتقد كل ما اكتب وليس ذلك المقال بخاصة ، فهو ايضا من صف معاكس لصفي . فهو معروف عنه انه ماركسي العقيدة كلاسي الثقافة العربية . وقد كان احتجاجه على المقال يمثل صفتيه هاتين . فالمقال ، لو عدت الى قراءته، كان ردا على مقال اخر كتبه احد افراد المدرسة الماركسية في القاهرة يربط فيه الادب بالطبقة ، مطبقا مفاهيم مغلوطة للشيوعية . ومن جهة ثانية فانني اكتب بلغة حديثة فيها الكثير من الالفاظ والصيغ المستجدة . وهكذا لا يمكن للاستاذ رئيف ان يوافق على مضمون المقال باسم عقيدته الماركسية ، ولا ان يوافق على الاسلوب باسم ثقافته العربية المدرسية .

وهذا مما يجعلنا نستخلص معا يا صديقي ان الادب الموقفي لا بد ان يفتتح جبهات قبل ان يكتسب مهللين ومصفقين . ولقد كان من سوء حظ الادب الموقفي ان يقع دائما بين ايدي نقاد ينتمون الى مواقف معاكسة . وهذا ما كنا نشكو منه طيلة تجربة طويلة ، كانت ـ الاداب ـ شاهدة عليها منذ انشائها حتى اليوم (١)

واخيرا تحيتي لك وللاخ عبد الرحمن الناقد وقصاص جديدين

---

(١) تعليق « الاداب » : نعتقد ان الاستاذ مطاع يجانب الحق والواقع هنا . فليس صحيحا ان « الاداب » كانت تدفع « دائما » بنتاج الادب الموقفي الى نقاد ينتمون الى مواقف معاكسة . واوضح دليل على ذلك ما استشهد به الكاتب نفسه في هذا المقال بالذات ، حين ذكر اسماء النقاد الذين وجدوا « بعض الحسنات » فيما يكتب ، امثال عبدالله عبدالدائم ومحمد حيدر واورخان ميسر ، فان هؤلاء قد كتبوا عن الاستاذ في «الاداب» ولا نحسبهم ينتمون الى مواقف معاكسة . غير ان هذا لا لا يعني اننا نؤمن بان من « حسن حظ » الادب الموقفي ان يتناوله بالنقد ادباء ينتمون الى اتجاهه نفسه ، بل نحسب ان من حسن حظ هذا الادب ان يناقشه من كان يتبنى وجهات معاكسة، فبذلك نغني الادب والنقد كليهما ونمكن القاريء من توسيع افاقه الذهنية . وهذا ما تعمد اليه « الاداب » احيانا عن وعي وقصد .

كتابان خطيران

عارنا في الجزائر لجان بول سارتر

الجلادون لهنري اليغ

ترجمة عايدة وسهيل ادريس

دار الاداب

يدخلان حياتنا الادبية بخطى ثابتة . وارجو ان تثق انني كنت دائما رحب الصدر امام النقد في موضعه ، وان كنت احيانا اثور واعنف غاضبا ، فذلك من اجل النوايا السيئة وارادة التهديم والتضليل التي لا تخلو منها ساحة ادبية .

وثق كذلك انني لن استعدي عليك احدا من اصدقائي ، ولن اسمح لنفسي او لهم بان يشتموا ويجرحوا . ولست ادري من اين لك هذا الاعتقاد عني. لقد اشاع البعض على صفحات الاداب انني اقسو على من ينقدني . وكان مصدر هذه الاشاعة هو ردي على نقد احد الكتاب لروايتي (جيل القدر). ومن الغريب ان من اختلقوا هذه الشائعة لم ينظروا الى مدى السلبية العجيبة وسوء الفهم الطافحين من خلال تلك المقالة النقدية ، وتمسكوا ببعض الاقوال الغاضبة لتي رددت بها عليه. وهذا ايضا نتيجة التيارات الغامضة التي تجتاح مرحلتنا الادبية الحاضرة ، فتقلب الاعمال الجدية الى مسبات ومساخر . وكل ذلك دفاع عن الجهل المركب ، وعن عادات القراءة الالية السائدة لدى جمهور كبير من القراء المخضرمين .

لقد كان الادب الجديد دائما في حاجة الى حماية ، الى سياج من النقد الواعي البناء . ولن يجد من يحميه الا بين افراد التجربة نفسها، التي يعانيها الاديب ويصدر عنها . ولكن ليس معنى هذه الحماية ان نغض الطرف عن كثير من المثالب ومظاهر الزيف التي قد ينزلق اليها كتاب هذه التجربة ، وما اسرع الانزلاق من المعاناة الى الكليشهات التي تحملها كل معاناة .

ومن اغرب ما قلته ايضا يا صديقي ان بعض من دافعوا عني حاولوا ان يستعدوا السلطات على من ينتقدني . وانا احتاج ايضا الى ايضاح كامل ، واسمح لي ان اتحداك ، عى طريقة تحديك ، اتحداك بان تبين اية سلطات تلك التي تحمي الادب الحر الذي احاول واتجشم من اجله ما لا يحق لي ان انشره ، كيما لا تظن انت وامثالك ، انني احاول ايضا ان افتخر بذلك ، ولو كنت قريبا منا للجمت لسانك عن هذه الفرية .

افرايت كيف انك قد سمحت لنفسك ان تخلع كل حرمة في هذا التخبط المسعور الذي جعلك تنزلق من رد على نقد الى تهجم على انتاج كامل ، الى النيل من شخص الكاتب ، الى اتهامه بكرامة حرينته . يحق لي مع ذلك ان اعلن ان الادب الصادق يحمل سلطته معه ، ولا يمكن لاية سلطة خارجية ، ايجابية او سلبية ، ان تمد من قوته او ان تحد من خصبه وتحديه .

اتراني غضبت ، حسنا ، للصبر حدود يا اخي . ولكنني مع ذلك لا ارى في كلامك ما يغضب ، سوى انه يعلن عن ظاهرة خلقية ، تؤسس لسلوك الشباب الصاعد . وهي ظاهرة لم يعد ينفع فيها التقنع وراء القيم الادبية . فليس اسهل على الفرد منا ، من ان ينخرط في حملات الشتم والقذف ، دون حدود لاية صورة عن الاحترام الانساني.

وانت في حين تعيب على الادباء ان يدافع عنهم بعض الاصدقاء حماية لبعض القيم التي يؤمنون بها ، فانك تسمح لنفسك بالدفاع عن صديق ، واكثر من ذلك فانك تلتف على الناقد، وتحاول ان تنال منه ، في اية جهة استطعت، او به وسلوكه وكرامته .

افتكون الصورة ، عن وصفك انت بالذات ، قد اكتملت . اخيرا احب ان اعرفك في غير هذا الطريق . كما احب لصديقك ان اراه ايضا في غير تلك القصة .

والمعذرة اخيرا من القراء الذين ضحوا من وقتهم الشيء الكثير. وقد كنت اود ان اوفر وقتي ووقتهم لانتاج اقرب الى الادب ، وابعد عن هذا القيح والاستنقاع الذي تحولت اليه فعاليتنا الابداعية .

افليس هذا ايضا من نماذج الازمة الكبرى التي يختنق فيها القلم العربي الوليد !

دمشق مطاع صفدي

صدر حديثا :

المهزومون

بقلم هاني الراهب

موهبة روائية جديدة تبزغ

في سماء الادب العربي الحديث

الثمن ٣٠٠ ق.ل – ٣٧٥ ق.س دار الآداب

النقد العقائدي

حول نقد الدكتور سعد لشعر خليل حاوي

بقلم رئيف عطايا

مهد الدكتور علي سعد لنقد القصائد في العدد الماضي ببحث نظري طرح فيه مسالة طبيعة الشعر ووظيفته وصلته بالفلسفة والحدود التي يجب ان تفصل بينهما . ومما يلاحظ على بحثه انه جاء اقتناصا لفرصة سانحة واستطرادا غير مشروع ، وان الدكتور لم يصدر فيه عن مسلمات بديهية ، ولم يخلص منه الى تقرير نتائج حاسمة ، ومعايير يقينية من صفاتها الموضوعية والشمول ، ولم يورد في التمثيل على ارائه الخاصة غير صورة جانبية عن تكوين الشعر الحديث وتطوره . وقد غالى في تاثير نظرية « النماذج العليا » في الشعر الحديث حتى احلها منه محل الجوهر الفرد الذي يكمن وراء مذاهبه المتباينة ، وحذر من خطرها على الشعر ، فهي ان مكنته من نقل المعاني الانسانية الكلية « الدائمة التشكل من جيل الى جيل ومن مجتمع الى مجتمع » فانها تمنعه ، في الوقت نفسه ، من التعبير عن احاسيس الذات الفردية وعواطفها ، ومن التعبير عن التطور الاجتماعي في اطار محدد من الزمان والمكان . وعندها لايبقى للشعر سوى موضوع واحد هو الانسان على صورته المطلقة

- التتمة على الصفحة ٥٦ -

مناقشات

– تتمة المنشور على الصفحة ٤٨ –

وماساة وجوده والبحث عن طرق خلاصه . وتمحي الحدود التي تفصله عن الفلسفة ويستحيل الشاعر الى مفكر بالمعنى الكامل للكلمة . واخطر ما في تلك النظرية – في نظر الدكتور سعد – انها بتشديدها على الرواسب اللاشعورية التي تعود الى بدائية الانسان ويشارك فيها الاسلاف قد تنحرف بالمؤمن بها الى الايمان بفكرة العرق والمطامع القومية ، الايمان بقومية نازية . وللدكتور اراء اخرى فرعية سوف نلم بها في سياق الحديث .

يبدو من هذه الخلاصة ان المذهب الماركسي يطغي على تفكير الدكتور حتى ليكاد يسحق فيه كل احتمال للتجرد من الفكرة المسبقة ، وكل احتمال للتفرد والاصالة . فهو ينسخ بالحرف تهجمات النقاد الماركسيين على كل شعر لا يأخذ بالواقعية الاشتراكية اخذا تاما ، ويشاركهم سوء ظنهم بالحركات القومية التي لايرون فيها سوى نازية مبطنة او ملطفة الشكل والظاهر . وفاته ان نظرية اللاشعور قد شاعت في الادب الماركسي باعتناق بعض الشعراء السرياليين امثال الوار واراغون للماركسية .

ثم ان الدكتور سعد يبسط قضية الشعر العربي الحديث تبسيطا يزيفها ، ويهون على نفسه اكثر من اللازم مهمة البحث فيها . وذلك بحشره في خانة واحدة لطائفة من الشعراء يختلفون في الجوهر ولا يتلاقون الا عرضا ومصادفة . وبعد ان يطبعهم بطابع واحد لايكلف نفسه عناء النظر في واقع شعرهم والنقد الذي قام حوله ، بل يصدر عليه احكاما غيبية متعسفة ينسخها برمتها عن نقد النقاد الماركسيين لشعر بعض الشعراء الغربيين امثال مالرمه وفاليري وغيرهما .

ولما كانت قصيدة خليل حاوي « جنية الشاطيء » ومقدمتها الدافع المباشر والفرصة السانحة لاستطراد الدكتور في بحثه الطويل ، فانه لاجدى على الشعر والنقد ان نحصر النقاش في شعر هذا الشاعر فنكون بذلك قد تحامينا الاجمال والتعميم والتعسف .

واول مايواجهنا نظرية « النماذج العليا » ، المعاني الانسانية الكلية التي ينفذ اليها خليل برؤياه الشعرية . انها على عكس مايظن الدكتور سعد ، لا تمنع الشعر من التعبير عن الذاتي والنسبي ، الحادث المتطور في الزمان والمكان ، بل تكشف عن واقع الشعر العظيم الذي يتحد فيه المتغير الزمني بالازلي الثابت ، والجزئي الفرد بالكلي المطلق . وخير مثل على ذلك عقدة اوديب التي تكمن في ماساة هاملت وغيرها من مسرحيات شكسبير . فهل جعلت من شخصية هاملت وشخصيات شكسبير الاخرى نسخا مكررة لنموذج انساني واحد مطلق ؟ وهل منعت مسرحياته من ان تحمل طابع العصر الاليزابيثي الذي عاش فيه ؟ هذا مالم يقل به احد من نقاده . وفي رأي سان جون برس : « ان ماساة العصر الحقيقية تكمن في الانفصال الذي يترك له ان يعمق ويتسع بين الانسان الزمني المتحول المتغير . نظرة تستتبع بالضرورة التاكيد على ان الادب تابع لعصره ، محصور الفعالية في زمان ومكان معينين . وقد سخر الكاتب المسرحي ايونسكو من هذه النظرة بلسان احد ابطاله : « لو كان شعر شكسبير اصيلا لاستحال الى وثيقة تاريخية لعصره ، ان بقاءه شعرا حيا موحيا لدليل قاطع على عدم اصالته » .

ويرتكب الدكتور سعد جريمة في حق الشعر حين يرى أن من وظيفته الطبيعية ان « يترك المهام ذات المطامح البعيدة ، مهام القاء الضوء على مشاكل الانسان .. للمباحث الفلسفية » . فليس من طبيعة الشعر ، في رأيه ، ان يتصدى للمسائل الميتافيزيقية . غير ان الناقد الالماني الكبير اريك هيلر يرى « ان مسؤولية المعاناة الحقة للوجود وللازمات الحضارية قد وقعت على عاتق الادب والشعر بعد ان تخلت الفلسفة الحديثة عن حملها » . ويتابعه سان جون برس مؤكدا انه « حين يهجر الفلاسفة انفسهم العتبة الميتافيزيقية ، يتأتى للشاعر ان يحل هناك محل الفيلسوف ، واذ ذاك يتكشف الشعر ، لا الفلسفة ، عن انه ابن الدهشة الحقيقي » . ولا يأتي برس بجديد من حيث الاعتقاد بوظيفة الشعر ، بل يعيد ما اكده الشعراء الاصليون والنقاد المتعمقون من الاغريق الى اليوم . والواقع ان حدس الشاعر قد يكون سابقا ودليلا لعقل الفيلسوف في الكشف عن مشاكل الانسان والبحث عن حلول لها . يعترف لفيلسوف هيدجر انه استرشد بحدس الشاعر هولدرلن في مسالة غياب الالهة والكينونة وصلة الزمن بالمطلق . اما الدكتور سعد، فهو كسائر المؤمنين بعقيدة مطلقة ، يريد من الشعر ان يضع نفسه في خدمة تلك العقيدة ، لا ان يطمح الى الرؤيا التي تولد العقائد .ولعله يظن ان في ذلك تبديدا للجهد وبدعة وزندقة .

وبعد ، من قال له ان الفكر كله « عمليات منطقية وتسلسل منطقي »» فكر ذهني مجرد يجبهنا بمعالمه الباردة الجافية . اليس ثمة فكر يصدر عن اشراق الحدس الملتهب بوهج الشعور ، وعن معاناة كلية تشمل جميع عناصر الذات ، فكر حيوي كاشف ينسجم مع وظيفة الشعر الطبيعية؟

ومن المقرر في مسالة الحد الفاصل بين الفلسفة والشعر ، ان الفلسفة لاتعنى بغير القضية الكلية والنموذج العام ، بينما لايجوز التعبير عنهما في الشعر الا من خلال التعبير عن الحادث الزمني وعن المجسد المحسوس . والجمع بين هذين القطبين لايكون الا بالحدس الشعري والرمز الذي يتولد عنه . لذلك تكون طريقة الكشف والاداء وحدها الحد الفاصل بين الشعر والفلسفة .

ولسنا ندري مايفيد الشاعر ، بعد ان يمنعه الدكتور سعد من الحدس

شعر

من منشورات دار الاداب

قرارة الموجة	نازك الملائكة
وجدتها	فدوى طوقان
وحدي مع الايام	فدوى طوقان
اعطنا حبا	فدوى طوقان
العودة من النبع الحالم	سلمى الجيوسي
عيناك مهرجان	شفيق معلوف
قصائد عربية	سليمان العيسى
الناس في بلادي	صلاح عبد الصبور
مدينة بلا قلب	احمد عبد المعطي حجازي

دار الاداب

بيروت – ص.ب ٤١٢٣

والكشف الذاتيين ، ان هو اجاز له ان يستوعب الثقافة الشائعة في عصره . الا يكون قد حول الشعر من عملية خلق تبدع ابنية عضوية الى صناعة آلية تستلم مادتها مفاهيم جاهزة ، وتزخرف لها من الالفاظ الانيقة او الصور المستملحة اثوابا خارجية ؟ انها لردة قاتلة الى ثنائية اللفظ والمعنى ، وحصر للبلاغة في الاول دون الثاني .

حاولنا حتى الان ان نبين بالدليل ان الشعر ينزع بطبيعة وظيفته الى الميتافيزيق ، والنفاذ الى النماذج العليا ، المعاني الانسانية الكلية ، فيجسدها برموز محسوسة تنفي عنه آفة التقرير والتجريد . واصبح ميسورا لنا ، على ضوء المباديء التي اثبتناها ان نقابل شعر خليل وما صدر فيه عن الشعراء والنقاد ، بتحليل الدكتور سعد وتقييمه له. واول مايصدمنا ويتولانا من اجله الحنق والعتب على الدكتور قدرته العجيبة على الرفض الكلي الاعتباطي لكل ماكتب في موضوع يتصدى لنقده . ولعله لم يقرأ ماكتب اطلاقا . والا كيف نبرر نفيه عن شعر خليل الكثير من خصائص الشعر الجيد ، برغم وجودها فيه ماثلة للعيان والمشاهدة . يجمع النقاد ، ونكتفي هنا بذكر الانسة عفاف بيضون والاستاذ نسيم نصر ، على انه في شعره تلتقي الذاتية بالموضوعية . وتقول الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي انه استطاع ان يعبر « خلال تجاربه الخاصة ، دون ان يغض منها ، عن حقائق عامة ، وان يجعل منها رموزا تعنينا بقدر ماتعنيه » ، وان نسمع في صوته « سوط جيل باكمله » . كذلك يؤكد الاستاذ مطاع صفدي ان العقل في شعر خليل « لايهيء ولا يرسم ، وانما يظل رديفا للمتح الذاتي .. انه نمو من داخل يحمل التوتر الذاتي ، بفضل الحركة التراجيدية ، التي تجعل من ذات الشاعر الفردية وذات المصير شيئا واحدا » . ومع ذلك فان الدكتور سعد لايتردد في ان يتهم الشاعر بانه يعبر عن « الانسان في صورته المطلقة المجردة من كل حدود مكانية وزمانية » ، وان يصمه بموضوعية الفكر التي تخرج الشعر عن طبيعته .

ولا ينكر ان خليل حاوي شاعر مصيري يبحث عن خلاص الانسان من عالم الجدب والموت وعن بعثه من جديد في حياة القيم الحيوية الخلاقة. ولكنه بعث ينبع من اطار محدد في الزمان والمكان ، هو واقع الثورة العربية القائمة ، « واقع حي يعيشه ملايين العرب » ، كما يقول الشاعر احمد عبد المعطي حجازي ، دون ان يفتقر ذلك البعث الى الابعاد الذاتية الانسانية الكونية ، والى الشرط الميتافيزيقي الاجتماعي السياسي لكل بعث اصيل . يثور الشاعر على ماض خدرته الغيبيات ، واقعدته العقائد المتحجرة ، وانحطت به الغرائز المنحرفة ، وافسده النفاق والغدر ومزقته الطائفية ، وتفهت قيمه نزعة المتاجرة بالاخلاق والادب واعمار الكادحين . وبعد ان يحرق معالم الموت هذه جميعها بنار سدومية يتولى الحفر في ذاته وفي تراث الحضارة العربية على الجذور الانسانية المتصلة بينابيع الحيوية المتجددة في اصل الوجود . ومن هنا كان ترحيب الاستاذ مطاع صفدي بمحاولة الشاعر : « ان خليل لايؤكد لنا الثورية ، ولكنه يحقق اخطر جزء منها ، وهو ثورية الوجدان الابداعي ، وقد وعي قصة حضارته من صميمها » . ومن المؤسف ان تقف الفكرة المسبقة والحكم الغيبي بين الدكتور سعد وشعر خليل فلا يرى فيه غير دعوة الى بعث « يتم دون مقدمات واسباب ظاهرة ، ودون ان ينبع من الظروف الاجتماعية » وغير شعر لاينطلق « من مجموعة اناس معينين يتحركون في اطار تاريخي معروف » . ويناقض الدكتور نفسه بنفسه حين يعترف بتاكيد الشاعر على البعث ، على حياة جديدة من الخصب والحيوية والغبطة ، ثم يعده واحدا من شعراء يريدون من الشاعر « ان يعبر في شعره عن الوجه الفاجع للحياة الانسانية التي لا يرون فيها غير صورة من مأساة متصلة » .

اما عن صلة الشاعر بالجماهير فلا يمكن ان تعين الا بتعيين طبيعة الرموز في شعره ، هل هي ذاتية مقفلة ملغزة كما هو معروف عن رموز مالارمه ، ام هي تراثية شعبية عامة . الواقع ان من يتتبع تطور شعر خليل يقع على محاولة مستمرة في ابداع الرموز المستمدة من صميم الحضارة العربية ومن الحكايات الشعبية ومن طبيعة بلادنا الخاصة . ومنها السندباد ، العنقاء ، البصارة ، البدوية السمراء ، الصحراء ، الرمل وغيرها . ولما كانت رموزه تراثا عاما فهي تقوم بدور اشراك الاخرين بتجربته وحملهم على الاستجابة لها . يستنتج من ذلك ان خليلا ينزع في شعره منزعا حضاريا يسير في اتجاه الشعر الشعبي دون ان يصاب بآفاته ، واخطرها التبسيط والسطحية . ويحميه من هذه الافات شحنه للشعر بالرؤى النافذة والتجارب المشحونة بالمضاعفات الشعورية وبالحقائق على مستويات متعددة . وكان اجدى ، في حالة كهذه ، الا يلوح الدكتور على الشاعر بعصا الجماهير ، بل يعترف له بانه قد قطع اقصى مسافة يصح ان يقطعها الشعر في الاتجاه الشعبي ويظل فنا يحتفظ بحرمته ومستواه ، وان على الجماهير نفسها ان تتحرك ان ترتفع فتلتقي الشاعر في منتصف الريق . غير ان الدكتور قد فعل عكس ذلك ، تذكر تهم النقاد الماركسيين لشعراء الفن للفن وللشعراء النرجسيين اصحاب الرموز الذاتية المقفلة فافاد منها ، الصقها بخليل حاوي ، وعده من « نخبة محدودة تشكل مايشبه المجمع الكهنوتي بما لها من شعور بالامتياز والتفوق لامتلاكها اسرارا وقوى ومعارف لاسبيل للعامة اليها » .

وينتقل الدكتور سعد من النظر الى التطبيق ، من الاحكام العامة على نتاج « مدرسة » تضم شعراء عديدين الى التحليل الداخلي لقصائد العدد. وهنا لا يسعنا الا ان نكبر قدرته على الاخلاص الذي جعله لا يتردد في نقض احكامه عى شعر خليل حاوي فيعترف بان قصيدة « جنية الشاطيء » « من النوع الرصين الغني بالصور المتنامية بحيث تجعل من القصيدة بناء بيولوجيا زاخر الدفق والحيوية . وعلينا ان نقر ان الشاعر رغم تعلقه بزج المشاكل الفكرية في شعره استطاع أن يبقى صنيعه الفني ، هنا ، في حركة رشيقة واندفاع مجنح من صميم العمل الشعري الناجح » . ومن مظاهر الدفق الحيوي في القصيدة عدم لجوء الشاعر الى « ادوات العطف والربط المنطقي » . ونحن نؤكد للدكتور سعد ان هذه القصيدة نموذج لفن الشاعر وليست استثناء منه او شذوذا عنه.

وفي صدد المقدمة النثرية نقول ان الشاعر كان يتلو قصيدته في حلقات الادباء ، قبل نشرها ، دون اي شرح او تقديم . ولم يثبت المقدمة في النشر الا تنازلا لصالح العامة الذين تشغلهم هموم العيش عن هم الدقائق والاغراض القصية في الفن الشعري . وهو من القائلين ان القصيدة بعد ان تتم تستقل بكيانها عن رأي مبدعها الذي يستوي على مرتبة واحدة مع آراء الاخرين فيها (١) . وكان بامكان الدكتور سعد ان يشيح عن المقدمة او ان يعارضها ، لكنه فضل ان يقيم الارض ويقعدها ، وان يجعل من الحبة قبة ، من المقدمة سببا للاستطراد في بحث نظري طويل ، وان يستخرج منها نظرية عامة في شعر « مدرسة » من الشعراء. وقد اساء الدكتور فهم المقدمة حين ظن ان الشاعر ينعت الحضارة بالشر،

(١) بعض الاراء العامة في هذا البحث مقتبس من احاديث للشاعر عن نظريته الشعرية .

مكتبـة روكسي

اطلبوا منها الاداب كل اول شهر
مع منشورات دار الاداب
اول طريـق الشـام

صاحبها : حسن شعيب

وهو الشاعر الحضاري . لقد قصد ان الحضارة في حالة واحدة ، هي حال الاحتقان والتحجر ، قد ترفض الدفق الحيوي وتعده شرا فتحاول ان تقضي عليه . انه يهيب بالحضارة ان تكون دائمة التفتح والنماء . فالقول بان الحضارة شر ، قد دفن مع دعوة روسو للعودة الى احضان الطبيعة . وفي رأي الشاعر ان الحضارة العربية المقبلة سوف تتكامل باكتمال توحيدها بين الانطلاق الحيوي وثورة الآلة الجبارة :

تحتل عيني مروج ، مدخنات ، واله بعضه بعل خصيب ، بعضه جبار فحم ونـار

ليطمئن الدكتور سعد ، فلا خوف على مكاسب الانسان الحضارية من شعر خليل حاوي !

الجامعة اللبنانية — رئيف عطايا

تعقيب

بقلم حسين علي صعب

في باب « قرأت العدد الماضي من الاداب » للسيد احمد محمد عميش وردت احكام اعتباطية في مايتعلق بالدراسة النقدية التي قام بها الاستاذ ايلي حاوي حول شعر نزار قباني ، وقد دلت هذه الاحكام على ضيق نظر الناقد في استجلاء حقيقة العمل الادبي ومعرفة المعين الذي يمتح منه من جهة ، ومن جهة ثانية دلت على عدم متابعته لسلسلة المقالات التي كتبها ايلي حاوي ونشرها في عدة مجلات ادبية لبنانية وخاصة مجلة « الاداب » ، فهو اي الناقد يهنيء ايلي لانه راى في شعر نزار بهلوانية ذهنية وتمضغا لنفس الافكار ، ودورانا حول موضوع واحد فضلا عن استعانته بالنجوم لربط اجزاء قصائده الصادرة لا عن تجربة نفسية بل عن تفكير ووعي ، وهذا مالا يتفق مع مقياسه النقدي الـذي يطلب من الشاعر ان ينفعل بمظاهر الوجود انفعالا حادا يطغى على وعيه حتى يصبح في حالة من الذهول تزول معها حدود الاشياء البارزة بتوحدها مع ذات الشاعر .

من هنا نستشف ان القضية بين الناقد والشاعر اي بين ايلي ونزار قضية فنية وليست قضية موضوع اجتماعي ء والخلاف بينهما لايعود الى المضمون ولكن الى كيفية تجسيده والتعبير عنه بصرف النظر عن نوعيته وهذا مالم يفطن له الناقد الذي دفعه فهمه الخاطيء لادب الالتزام ان يحكم على نزار بالابتعاد عن الواقع والتغني باحلام نرجسية ذاتية ،فهو والحالة هذه يجبر الشاعر والاديب على تناول المواضيع السياسية التي تحول الادب الى شعارات جماهيرية تهدد الطغيان الداخلي والخارجي بالفناء . وهذا لايقره ايلي نفسه الذي هلل له الناقد وصفق . ولو كان قد اطلع على سلسلة مقالاته لما اصدر مثل هذه الاحكام . وخاصة دراسته لديوان بدر شاكر السياب « انشودة المطر » في عدد من اعداد « الاداب » حيث اكد ان القصائد الوطنية تزول بزوال الحدث السياسي الذي تعبر عنه . وليس هدفي هنا مناقشة موضوع الالتزام والدفاع عن شعر القباني وانما اردت ان ابين ان ايلي والناقد هما في هذا الصدد على طرفي نقيض وان المهم في العمل الادبي هو العفوية والصدق في التعبير خاصة وان المجتمع كل لايتجزا فهو بتكامله هذا يطرح مختلف المواضيع .

واذا اردنا الرجوع الى ماكتبه حاوي في دراسته لديوان خليل حاوي « الناي والريح »(١) نرى ان القياس النقدي الذي عرفه بقوله: «والشعر ليس تعبيرا عما نفهمه وما نقر به وانما هو تعبير عن حالات اللبس والغموض حيث يشعر الانسان ان مايعانيه هو اعمق بكثير مما يفهمه وحيث يتوهم له ان اليقين الذي تؤتمن به اعصابه ايمانا راغما هو اصدق تعبيرا من المنطق والتفكير وسائر مظاهر الوعي ، لهذا فان الشعر الدائم هو الذي ينفذ الى ماوراء دائرة الوعي والتقرير في النفس » لاينطبق على جميع انواع الشعر وانما ــ كما اعتقد ــ على الرومانسي منه كما استشهد هو على ذلك باديب مظهر :

اعد على سمعي نشيد السكون واستبقني بالله يا منشــدي
فان تجـواب عزيف المنــون حلو كمر النسم الاســود

فاديب يعبر عن حالة نفسية مظلمة تعاني وطأة اليأس والانسحاق. ولذا فهو يرى الوجود من خلال ذاته الحزينة اليائسة ، وطبيعي ان تطبع نفسيته«ما تنقله حواسه» بطابعها الاسود بعد ان تزيل الحدود الفاصلة بين المرئيات ، اما الشعر الصادر عن تفكير محض فلا يمكن ان يصلـح له هذا المحك ، ولناخذ كمثال ابا تمام وهو كما نعلم شاعر صنعة . وقد كان مولعا بادخال الغريب على شعره حتى اتصف بالتعقيد والغمـوض لصدوره عن ذهن يجهد في توليد المعاني والاتيان بالغريب المفاجيء منها :

ان ريب الزمان يحسن ان يهدي الرزايا الى ذوي الاحساب
فلهذا يجف بعد اخضرار قبل روضه الوهاد روض الروابي

هذا مع العلم ان ذلك البحث المستفيض لمجموعة « الناي والريح » ــ حيث قرر ايلي ان خليلا توحدت ذاته مع الوجود فعبر في غمرة من الذهول ، عما يصطرع في نفسه ازاء متناقضات الكون ــ يتنافى مع مقياسه النقدي : فشعر خليل وليد ذهن غرف من ضروب الاتجاهات الفلسفية وليس وليد ذهول كما يزعم ، والدليل على اقحام خليل للفلسفة في نطاق الشعر عجز القاريء عن استيعاب جزئيات قصائده مالم يكـن قد عرف اتجاهه الفكري الناتج عن اعتناقه لفلسفة معينة حددت موقفه من الوجود ، وكمثال نجتزيء المقطع الثاني من قصيدة « الجروح السود » وهي منشورة في العدد الماضي من الاداب :

مرارة وعـار
تفل بلا طعم بقايا الحب ، تغل الحقد في القرار
وكيف اصبحنا عدوين
وجسم واحد يضمنا ، نفاق
كل يعاني سجنه ، جحيمه
في غمرة العناق .

فالقاريء لايستطيع ان يفهم هذا المقطع المتقلب على نفسه والـذي يعري الذات ويضعها وجها لوجه امام حقيقتها فيما تحاول في تجربـة كالحب ان تتقنع وتخفي نزعتها الانفرادية الا اذا كان ملمـا بالفلسفة الوجودية التي ترى نفاقا ، في حالة السلم ، اندماج الذات بالاخـر حتى ولو كان الاخر منتهى ما تتمناه النفس ، فحتى في حالة الاندماج التام بين اثنين تظل ذاتية كل واحد منهما تعاني جحيمها منفصلة عن الاخرى.

وقد اشار ايلي الى التدفق النغمي الهادر في مجموعتي « نهر الرماد ــ والناي والريح » الا انه لم يشر الى خطورة هذا النغم في صرف ذهن القاريء عن المضمون للاستمتاع به وحده .

واخيرا على من يتصدى للاعمال الادبية بالنقد ان يبني احكامه على اسس موضوعية دون ان يؤثر عليه اتجاه فكري معد سابقا او ميـل نحو شاعر يريد ان يذيع شهرته على حساب اطفاء شهرة الاخرين .

بنت جبيل — حسين علي صعب

١ ــ الاداب ــ ابريل

حول « أزمة المفكر العربـي »

بقلم صبحي شحروري

هذه اول مرة اطالع فيها اسم الدكتور زايد بين كتاب الاداب ، ولحرصي الشديد على ان نطالع مقالات للصفوة المثقفة من ابنائنا على نمط المقال الذي نشره الدكتور عن «ازمة المفكر العربي» ارجو ان يتسع

صدر الاداب الغراء للملاحظات التالية التي لا تعدو كونها ملاحظات قارىء.

ترجع الازمة في رأي الدكتور الى عاملين ، هما عدم فهم المفكر العربي لطبيعة المرحلة التي تجتازها الامة العربية ، والى عقم الاساليب التي ما زال يتبعها في معالجة الازمة . هذا شيء يقوله الدكتور في مقدمة البحث وفي نهايته ، ونحن ننتظر من بعد ذلك شرحا وتوضيحا ومناقشة وبيانا للاسباب ، ولكنه بدلا من ذلك يرتد الى الوراء اذ يقول: « ولتقدير خطورة المرحلة الفكرية الحاسمة التي يجتازها الفكر العربي.. يحسن بنا ان نعرض لنشاطه في فترة ما قبل الثورة المصرية . » ويسرد الدكتور بعد ذلك مجموعة العوامل التي ادت الى اليقظة العربية ويأتي على ذكر كثير من الاشخاص ، ولكن الملاحظ انه يخلط خلطا واضحا بين كلمتي عرب ومسلمين ، ولا يفرق التفريق المطلوب بين حركات الانبعاث الديني وحركات التحرر القومي من نير الحكم العثماني . وليس هذا التفريق شيئا نطالب به نحن بقدر ما هو شيء حاصل تحتمه دراسة هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ امتنا العربية .

فالكاتب يقول : « وقد فجر هذه المأساة في نفوسهم اثنان من أئمة المسلمين هما جمال الدين الافغاني ومحمد عبده اللذان يعتبران من اعظم مؤسسي النهضة الاسلامية والعربية والحديثة » والكاتب يهمل بعد ذلك الدور الكبير الذي لعبه الكواكبي واضرابه في تاريخ الحركة القومية ولا يشير اليه بكلمة واحدة ، مع ان هذا التيار الذي يمثله الكواكبي هو الاشد غلبة والاكثر اصالة وهو الذي انتهى به المطاف الى ان يكون الاتجاه السائد المستقر في الوقت الحاضر كما يقول الكاتب والدكتور زريق . يقول عن مقالته « وان كنت قصرتها على الفكر العربي ممن يؤمنون بالقومية العربية فذلك كما قال الدكتور قسطنطين زريق لايماني بان الاتجاه القومي العربي هو السائد » .

ونحن نحب ان نقف عند هذه النقطة قليلا لنورد رأي كاتب نعتقد انه تحرى الدقة في تاريخ هذه الفترة . يقول الكاتب عن الافغاني(1)

« فكان هدفه النهائي ان يرتفع بمستوى المسلمين الى مستوى الامم المتقدمة الحرة ، وذلك عن طريق حركة تعليم واسعة ، وتكييف العقيدة الاسلامية حسب متطلبات العصر ، وكان يحلم برؤية الولايات الاسلامية وقد تحررت من النفوذ الاجنبي وتوحدت تحت راية خليفة واحد كما كان الحال في ايام الاسلام الزاهرة »

ويقول ايضا « ان عبد الحميد الذي كان يتمنى ان يرى نفوذ الخليفة يقوى ويشتد لتحقيق مطامعه السياسية لتلتقي اهدافه مع اهداف جمال الدين ، ومع ان هذا اللقاء كان زائفا مصطنعا الا ان عبد الحميد عرف كيف يستغله لخدمة اغراضه .»

ومهما قيل في رأي الكاتب فانه يظل يشير الى حقيقة واضحة هي ان التيار الذي مثله جمال الدين لم يكن يسعى بحال من الاحوال، الى الخروج على الخليفة في استانبول وانه لم يعمد مباشرة الى معالجة موطن الداء ولا كان نقطة انطلاق للتيار الاقوى والاشد .

ولنسمع الان رأي الكاتب نفسه في الاتجاه الاخر الذي اهمله الدكتور ولم يتحدث عنه الا متاخرا حين اقتطف فقرة من خطاب العريسي في مؤتمر باريس ١٩١٣

يقول الكاتب (2) « وقبيل نهاية القرن ـ التاسع عشر ـ ظهرت على مسرح الاحداث شخصية جديدة هي شخصية الكواكبي الذي خطا بالقضية خطوات اصيلة واسعة الى الامام . لقد كانت افكاره هادئة واضحة رغم النار التي كانت تضطرم في اعماقه ، وكان يعلن دائما ان الوطنية يجب ان تظل فوق الانقسامات الدينية ، وبان مكانة العرب في توجيه مصائر المسلمين يجب ان تستعاد »

ويقول ايضا والميزة الرئيسية لحركة الكواكبي انها فرقت بين الحركة العربية والحركة الاسلامية العامة التي كان يحمل لواءها الافغاني. لقد تاثر الكواكبي بسلفه دون شك ولكن بينما كان جمال الدين يسعى الى وحدة اسلامية لا يهمه فيها ان يكون الخليفة تركيا او افغانيا او مصريا فان الكواكبي فصل فصلا لا لبس فيه بين العرب وغير العرب من الرعايا العثمانيين . ولقد استغنى هذا الفصل من دراسته للتاريخ ، اي من الدور الذي لعبه العرب في نشر الاسلام ومن ذلك التلاصق الحميم بين العبقرية العربية والدعوة الاسلامية . »

وفي رأيي ان التعميم والاقتضاب هما اللذان افضيا بالدكتور الى هذه النتيجة ، ولعل التعميم والاقتضاب هما اللذان دفعاه الى تقسيم نزعات التحرر السياسي الى ثلاث والى الاشارة العابرة الى ان الاتجاه بين القوميين المحلي والعام اخذ في السيطرة دون ان يبحث ذلك بشيء من التفصيل ويلمح الى العوامل التي وقفت وراء ذلك التقسيم وتلك الغلبة .

واذا كنا نقبل التعميم والفصل غير المتاني عند تقسيم الاتجاهات الفكرية الاجتماعية الى محافظة وتوفيقية وتجديدية فاننا لا نقبل بتقسيم نسق الفكر الاجتماعي الى يمين ووسط ويسار . وطبيعي ان لا يكون الدكتور مسؤولا عن مثل هذه الاصطلاحات ولكنه مسؤول عن استعمالها بمثل هذه السهولة في هذا المجال الدقيق المعقد . ان كلمة الوسط هنا تظل تحمل ظلالا كثيفة من معنى كلمة التوفيق او حتى الخلط ومحاولة التسوية العابرة ، ولا تستطيع ان تعبر بحال من الاحوال عن اصالة هذا الاتجاه وصميميته . وشبابنا الذي يئن تحت وطاة ظروفه الاجتماعية يجد في مثل هذا التقسيم الخاطىء ما يبرر له الوقوف في اقصى اليسار وذلك حين يتخذ موقفا انفعاليا تنقصه التجربة حيال الظروف المحيطة به . وفي رأيي ان القضية هنا عامة وان علينا ان نضع معنى محددا لمثل هذه المصطلحات كي لا يظن بانها درجات متفاوتة لموقف واحد حيال قضيتنا الكبرى . انما يجب ان نوضح انها تيارات لا يجمعها منطلق واحد وعندها من الافضل ان لا نعود الى الحديث عن يمين ووسط ويسار .

شيء اخر احب ان اشير اليه اذ بينما يكتب الكاتب الجاد الرصين الاستاذ محيي الدين محمد عن « نحن والحس القومي » (3) فيقول عن جيل الشباب . « ان هذا الجيل يحس بانه ليس مطلوبا ، وانه سواء اشترك او لم يشترك لا بد ان تتحول الجمهورية الى الصورة الاشتراكية » ويقول « وهكذا ظلت الثورة بعيدة عن الشباب حتى لاحظ بعض المسؤولين هذه العزلة اخيرا فحاولوا ان يخلقوا نوعا من المشاركة بين الثورة والشباب » .

ويكتب عن « ازمة المثقفين » فيقول « والقضية في الحقيقة تمس عميقا جوهر هذا الانفصام الحادث بين القيادة الثورية وبين طليعة المثقفين الشباب »

ويكتب في نفس العدد الذي تضمن مقال الدكتور عن « الادباء الشباب بين الجمود والثورة » فيقول « وكذلك لم يستطع الادباء الشباب ان يحصلوا على رضى السلطان بالرغم من انهم كانوا صوته على اساس انهم ينادون بنفس القيم التي تنادي بها الثورة وتعلن عنها باستمرار ، وقد كان هذا موقفا غريبا استمر طيلة الاعوام التي اعقبت تمرد الثورة على القيم القديمة ».

ويقول « اما هنا فالاديب الشاب لا يستطيع ان يبلغ صوته الى الجمهور بالرغم من انه يعلن تماما عما تعلنه الاجهزة الثورية في الحكومة، وذلك لان الاجهزة الثقافية وحدها ما زالت تعيش في عهد الخديوي والاتراك».

اقوله بينما يكتب الاستاذ محيي الدين محمد كل هذا ويعكس به طبيعة الاوضاع الفكرية والثقافية في بلده يقول الدكتور :

« وكان العامل الحاسم في تشكيل الاتجاهات السائدة في الفكر العربي في هذه المرحلة هو الثورة المصرية .. »

ان الاعتراض هنا موجه الى كلمتي « حاسم » « وتشكيل » . اننا لا نعتقد بوجود عامل واحد وراء تطور هذه الاتجاهات فكيف بتشكيلها . ان التشكيل يعني الخلق ثم الوجود وهذه التيارات موجودة بالفعل ولعل كلمة التقوية وفتح الافاق الواسعة اقرب الى الدقة العلمية ..

صبحي شحروري

عنبتا

(1) جورج انطونيوس • يقظة العرب ص ٦٨-٦٩-٧٠

(2) يقظة العرب ص ٩٥ - ٩٨

(3) اعداد الاداب الثلاثة الاخيرة

حول نقد الدكتور احسان عباس

بقلم ايليا الحاوي

لقد آثرت في دراستي للادب العربي ، قديما وحديثا ، اسلوبا يغلب عليه الانصراف الفني الداخلي ، وآليت على نفسي ان اعف عن الرد والمناظرة لانهما يؤديان في النهاية ، الى التجريح ، وما الى ذلك مما لست اسيغ الخوض فيه . ولئن تطعمت بعض مقالاتي المهسبة عن الشعر الحديث ببعض السخرية ، فقد كان يسوقني الى ذلك تطور البحث وطبيعة النقد الايجابي الذي لايمكن ان يكتفي بتقرير الافة ، دون ان يسعى لاستئصالها.

اسوق هذا القول بصدد بحثي السابق في شعر نزار قباني الذي حرص الدكتور سهيل على رده الى رأي خاص والذي عارضه الدكتور احسان عباس وسفهه بمقاييس عمودية متعفية ، ولهجة تفتقر الى كثير من التواضع ومعرفة قدر النفس .

ولقد أنفت ان اتواقع مع الدكتور واتكلف بالرد عليه ؟ فاي خير يرجى من التصدي لناقد لا موضوعي ينصب نفسه قاضيا للموضوعية ، ولا يحرج من التصريح بعد سنين من الدرس والتدريس ، بان الشعر يقيم وفقا للشاعر نفسه من دون القيمة الفنية المطلقة وانه يقتصر على اللفظة الحلوة والصور المستطرفة ، من دون التجربة الكلية والرؤيا الشاملة للوجود والعصر والحضارة .

وانما اردت ان اشير هذه الاشارة ، ليدرك القراء في اية هاوية يتردى اولئك الذين افادوا من غفلة الشعب ، لينصبوا انفسهم اوصياء على الشعر والنقد ، جميعا ، وكم في عالم الادب العربي من طبول تطن وضنوج ترن ، ولا فضيلة لهم الا التمرس بتحقيق الاوراق الصفراء ورصد الاذيال والحواشي وتأليف الكتب المنهوبة عن النقاد الاجانب .

وحسب هؤلاء انهم المدافعون عن الادب الساقط وحلفاء الشعر القاصر الموبوء ، ضد شرف الكلمة والحقيقة والانسان والعصر ، وبئس المصير .

الشوير ـ لبنان

حول تعريف الادب القومي

بقلم علي الحلي

في عدد الاداب الماضي ، نشرت السيدة الفاضلة نازك الملائكة مقالها « اغلاط شائعة في تعريف الادب القومي » والمقال في حقيقته لايعدو ان يكون ايجازا للمحاضرة التي سبق ان القتها في حديقة بناية جمعية المؤلفين والكتاب في العراق في احدى امسيات حزيران ١٩٦١ .

لقد قدر لي ان احضر لاستماع المحاضرة ، وان كنت لم استمع الى بداية كلام الانسة نازك ، غير اني استطعت اللحاق بجوهر موضوعها واستيعاب الكثير الكثير من معطيات الاسئلة الملحة والصموت التائهة لاسيما وان المناقشة قد اضفت على الموضوع جوا تفسيريا واضحا يكفي لالقاء الضوء الكاشف على معالم المحاضرة منذ بدايتها .

وعندما انتهت السيدة الملائكة من محاضرتها ، لم اكتم الحاضرين احساسي بالضيق والخيبة ، لما تضمنته حروفها وكلماتها من قيم رجعية ومفاهيم ادبية متخلفة لاتليق بها ولا بمكانتها الادبية ، وبالتالي ليس لها ظل من مرجع ادبي او مصدر فكري او حتى فلسفة محددة الاتجاهات ! ومن المؤسف ان الانعكاس العام للحاضرين لم يكن بجانبها وبشكل لم تكن تتوقعه هي ذاتها ، وقد ارتسمت علائم الحيرة والدهشة والذهول على كثير من مستمعي محاضرتها .

لقد كنت شخصيا اكن في نفسي للسيدة الفاضلة نازك اعجابا كبيرا وتقديرا صادقا ، لا كشاعرة مبدعة تقف في طليعة الصف الهرمي للشعر العربي المعاصر في مجاله الفني حسب ، بل كمثقفة ، موجهة ، واعية ايضا ، وفي مجالات النثر العالي المركز.

اما ان تتخذ السيدة نازك موقفا هروبيا يائسا وساذجا في آن واحد ازاء الاخوان الادباء الذين طارحوها النقاش الحر... ومن ثم تلتزم باصرار غريب جانب الاستخفاف والنظرة الاستعلائية بالقيم لموضوعية التي تلقى على مستمعيها دون ان تملك القدرة المبدعة في تهرئتها من جهة، وارساء قيمها الجديدة على اسس علمية ، فلسفية ، فكرية ثابتة من جهة اخرى ، فذلك منتهى الشعور بالالم والمرارة .

ان القاريء العربي الذي وجد في مقالة السيدة نازك « التجزيئية في المجتمع العربي » التي نشرت في عدد سالف من الاداب ذلك العنفوان المشروع من التفاؤلية والحركية ، وهاتيك الملامح الوضيئة الاصيلة للفنان العربي الذي يعبر بكل اخلاص عن ذاته الخلاقة ، من خلال تشربه وتفاعله وتأثره بارادة الجماهير الحرة الواعية ، ومعاشاته الصادقة لعذاب الحياة ومسراتها بعمق دقيق .. اقول لا يمكن له ان يجد في مقالتها الاخيرة الا صورا ضبابية ضائعة من روح التسيب المطلق في البحث العلمي ، واطلاق المفاهيم الاعتباطية بلا حساب ، والا هل يصدق انسان عربي يحترم الانسة الملائكة ، ويضعها في المكان الجدير بها كل الجدارة والاعتزاز هل يصدق قولها « بان الطغيان والارهاب اللذين لجأت اليها هذه الدعوة (تقصد دعوة الالتزام) قد كانا ولم يزالا ينمان عن ان منشأها شيوعي !! » .. فتأمل !

من اين جاءت السيدة الفاضلة بهذا التهليل والاستنتاج ؟؟ وهل ان الالتزام الماركسي الاممي معادل للالتزام الاشتراكي القومي او الالتزام الوجودي ؟!

هل ان « الزادونوفية » في الالتزام الشيوعي المحض مساوية « للمكارثية » الفاشية او نقيض لها ؟! ومن يصدق بان السناتور مكارثي شيوعي ؟!!

واذا انسجم ، ولا اقول اتفق او التقى ، ماوتسي تونغ مع توفيق الحكيم مثلا في بعض قضايا الادب والفكر والفن في مجالات الالتزام لاسيما في ترابط الشكل الفني الجمالي بالمضمون السياسي الثوري الحي... هل يعني هذا الانسجام او الالتقاء ان توفيق الحكيم صار شيوعيا من جراء التزامه قضية معينة من قضايا الالتزام الماركسي.؟

ووتتهم السيدة نازك الادب القومي ، بادق تعبير تهم معرفيه بانهم يقيمونه على اساس مثالي !! دون ان تتخلص هي نفسها من شراك المثالية المغرقة في جوها الاسطوري الخيالي ! او حتى ان تحدد لنا الأسس العلمية الموضوعية الثابتة له ، على الرغم من انها وعدت القراء في ختام مقالتها بانها ستتفرغ لدراسة المضمون الايجابي لذلك الادب .

لقد رددت في اكثر من موضع لها في مقالها « بان الادب القومي صفته الكبرى البراءة (؟!!!) ، وعروبة ادبنا ان تتجلى فيه كل الخصائص العفوية غير الواعية !! التي تكون مقومات الذات العربية »

بهذه الكلمات التجريدية ، والمعاني المغرقة في المثالية ، تريد السيدة ان تقيم لنا نظرية جديدة في مفهوم الادب القومي ، وتشيد تمثالا نموذجيا من التعريف له .

ان الادب القومي كما نفهمه من خلال تجارب الامة العربية في نضالها الثوري ضد الاستعمار والتبعية والرجعية ، من خلال معارك الشعب العربي في بور سعيد وجبال الاوراس والجبل الاخضر والكرمل والقسطل والرميثه والرارنجية وجبل طارق وجبل الدروز ، من دماء عبد الرحيم محمود وعبد القادر الحسيني وحسن سلامه وعدنان المالكي وجول جمال وعمر المختار وعبد الرحمن خليفه وصلاح الدين الصباغ ويونس السبعاوي ومحمود سلمان وفهمي سعيد والاف الشهداء العرب السائرين في طريق الاستشهاد ، ومن حمود بن بله وعذاب جميلة بوحيرد

والثائرين الاخرين ... ان ادبنا القومي لا يمكن الا ان يكون تمثلا حيا لذاتنا العربية الاصيلة .

انا نفهم « العفوية » بانها انعكاس للتحلل من المسؤولية الجماهيرية ولن ندخل في حسابنا براءة الوردة البرية الزرقاء ، والمطر والنسيم الرطب وضوء الشمس من خلال نظرتنا الجدية لحياتنا القومية .

ان ادبنا القومي « كما ينبغي ان تكون عليه النظرة التقدمية .. هو تعبير مباشر للاصالة العربية ، وليس كما تتصور السيدة نازك الملائكة « بانه صورة لتمنيات فردية يحلم بها الكتاب للادب العربي» وان رفضها هذا التقييم الذي استقر عليه كثيرون من مفكري العرب المعاصرين يستند اساسا الى عدم استيعابها « الالتزام » كما ينبغي ان يكون ايضا ، والى روح الخلط التي تميزت بها مقالتها .

انا لا اعرف ، كيف استنبطت السيدة نازك مفهومها « القومية عند دعاة الالتزام هي النقيض الفكري للحياة ؟؟ فالمرء اما ان يكون حيا ، متمتعا بالحرية الفردية والسعادة او ان يكون قوميا !! » ، ولذلك نجد هؤلاء الكتاب يخافون على الادب العربي الا يكون قوميا ، فيضعون له اسسا ومثلا وتعاليم يشتقونها من افكارهم المثالية عن المجتمع العربي دونما نظر الى الواقع الحق لذلك المجتمع »

اني اضع هذه المفاهيم بما تحمله من متناقضات مثالية امام القارىء العربي ليرى اية وجهة بناءة تريد السيدة نازك ان تستهدفها ومن ثم تدل الاخرين على اقتفاء اثارها وترسم خطاها وبالعفوية التي نفهمها !

لقد لمست من سياق مفاهيم السيدة نازك بانها تؤمن بالحرية المطلقة للفنان ، وان اسمتها بالحرية الكاملة ، تلك الحرية السائدة المجردة من التنظيم العملي الموجه ، لذلك تقرر بكل بساطة « ولسوف يكون الادب القومي واقعيا حقا عندما يكتب كل اديب عربي في حرية كاملة »

اية حرية كاملة تريدها السيدة نازك الملائكة ؟؟ ما مضمونها ؟؟ ما هو مفهوم الاديب العربي لديها ؟! اهو الذي يقتات شظايا رماده في ظلال التثاؤب والغثيان ولا يرى الفجر العربي المشرق الا خيطا واهيا مشدودا الى سروة ذابلة عبر الليل الحانق والظلام الكثيف واليأس المزق والتحنط البائس والفوقعية التجريدية ؟!!! .. او ذلك الذي هتف بعزم الثوار الاحرار في خط النار والاستشهاد على ارضنا الدامية في فلسطين :

سأحمل روحي على راحتي — والقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق — واما ممات يغيظ العدى

ان العروبة ، ليست ايتها السيدة ، تلك البساطة التي تفهمينها فهما مثاليا ضائعا ، متحررا من العامل التنظيمي الثوري للحياة العربية كما انها لم تكن مطلقا عروبة اندفاعية ، انفعالية ، عفوية .. بل كانت ولا تزال عروبة نضالية واعية مسؤولة عما تقرر وتعمل من اجل وجودنا الحي المتحد ، وفي سبيل مجتمع عربي اشتراكي افضل .

فالاولى بالسيدة نازك الملائكة ان تصحح افكارها الخاطئة قبل ان تطالب الاخرين بتصحيح مثلهم وقيمهم . ولنا الامل بان اقباس التصويب ستنبع من خلال دراستها الايجابية للادب القومي كما وعدت القراء بذلك ، ولها خالص تحيات الاعجاب .

بغداد — علي الحلي

كلمة هادئة حول الادب القومي

بقلم لبيب الصباغ

انا — كقارىء — احترم السيدة نازك الملائكة كشاعرة جيدة مجددة ورائدة من رواد حركة الشعر الحر ، وقد تتبعت كل مقالاتها التي نشرت في « الاداب » الغراء .. تقريبا ، فوجدتها ترتفع الى مستوى نقدي جيد عندما تتحدث عن حركة الشعر الحر الحديث بالذات ثم تكثر الملاحظات .. ملاحظاتي وملاحظات بعض اصدقائي عما تكتبه في امور اخرى.

ومن هذه الامور مقالها في عدد (اغسطس) من الاداب المنشور بعنوان « اغلاط شائعة في تعريف الادب القومي » ، فقد ذكرت فيه السيدة نازك ان هناك ثلاثة مصادر يشتق منها كتابنا الادب القومي النموذجي الذي يكتبون ، اولاها تمنياتهم واشتهاءاتهم ، ثم تنقد هذا المصدر ذاكرة ان كتابنا « يجهلون ان الادب القومي كامن في عفوية اقلامهم فاذا كتبوا ببساطة كانوا كتابا قوميين على اجمل ما يشتهون .»

اذن فالمسألة الاولى مسألة بساطة وعفوية ولا شيء اخر !.. انني اتساءل هنا : ترى هل كتبت نازك مقالها هذا ببساطة وعفوية ام بتصميم حاذق وارادة واختيار وتنسيق ؟ واتساءل ايضا : هل البساطة والعفوية كافيتان لتكوين كاتب ما ؟ ان اي طفل في الدنيا عفوي التصرفات وبسيطها !

اما المصدر الثاني فهو « المصدر الاكثر شرا والاشد وبالا على عروبتنا وشخصيتنا . انه ادب الغرب » .. هكذا وبكل بساطة ، الاكثر شرا ، والاشد وبالا ! .. هكذا تقول نازك عن ادب الغرب متجاهلة تماما ان الشعر الحديث .. كحركة ادبية « عربية » غربي الاساس رغم كل الدعوات والاراء الاخرى ، وان هذه الحركة مقتبسة كل الاقتباس بل وكل التقليد للاسس التجديدية التي وضعها شعراء غربيون .

انها لعجيبة هذه الكلمة .. ترى هل ان ادب شكسبير وغوغول وهوغو وسارتر وكل المئات من ادباء العالم اللامعين ، الاموات منهم والاحياء ، يشكل خطرا على ثقافتنا وعروبتنا ، من قال هذا الكلام سابقا ؟ وما نصيبه من الصحة بالنسبة لا بسط كاتب مبتدىء ؟ وكيف تجد نازك الجرأة في نفسها لان ترده — ولتسمح لي ان اقول — بدون دراسة ؟ هل ان تكوين الشخصية الادبية العربية المنشودة يقتضينا ان نتحجر ثقافيا ؟ انني اتساءل فقط !

اما المصدر الثالث الذي تراه نازك خطأ شائعا يستند اليه الكتاب ليكونوا ادبهم القومي فهو دعوة « الالتزام » التي تقول عنها نازك « والحق ان الطغيان والارهاب اللذين لجأت اليهما هذه الدعوة قد كانا ولم يزالا ينمان عن ان منشأها شيوعي » وهنا ينبغي علينا ان نتهم مجلة الاداب كلها ، من صاحبها المجد الطيب المخلص الى كتابها منذ تسع سنوات حتى الان — ومنهم نازك طبعا — بالشيوعية !

الا ترون ان هناك قصر نظر كبيرا في اتهام هذه المجلة المجاهدة التي قامت لاول مرة بتعريب دعوة الالتزام وايضاحها للقارىء والكاتب العربي وساعدت الى حد كبير على نمو فكرة الادب للشعب التي هي اساس فكرة الالتزام وقام صاحبها بترجمة معظم اثار المفكر الانساني الكبير جان بول سارتر باعتباره رائدا من رواد الالتزام وكلنا يعرف موقف سارتر من الشيوعية كفلسفة وكسياسة .

ان كل المؤتمرات التي عقدها الادباء العرب قد اكدت على فكرة الادب للشعب التي هي توضيح مبسط لفكرة الالتزام وقد كانت نازك موجودة في اغلب هذه المؤتمرات، فلماذا لم ترفع يدها متهمة هذه المؤتمرات بالشيوعية ؟ الجواب بسيط ، ذلك لان نازك تدرك ادراكا قاطعا بان هذه المؤتمرات ليست ماركسية الطابع مطلقا ولن تكون كذلك .

اريد ان اقول في النهاية الى الهروبية والذاتية لم تعودا تجديان

في عالمنا العربي ، هذا الرائع المتحرك الديناميكي السائر دوما في داخل عملية استنهاض مهما زوقت براقع المادين .. وليست نازك منهم طبعا !

حول مذهبية الناقد

طرح الدكتور الفاضل احسان عباس مشكلة هامة عند تعرضه لنقد مقال عبد المنعم عواد يوسف عن « الشعر بين النقد والتذوق » المنشور في عدد تموز الماضي ، وهي مشكلة مذهبية النقاد .

وقد فهمت من كلمته السريعة اننا لا نستطيع ان نمذهب النقاد ولا يستطيع النقاد وكذلك ان يتمذهبوا او يتمنهجوا لانهم قلة .. وارجو ان اكون مخطئا اذا قلت اننا نعني بالكيف لا بالكم ، فقلة تلتزم مذهبا معينا ومنهجا واضحا خير من مئات من الانفعاليين التذوقيين ، واظن ان محمد مندور كان من التذوقيين اولا ثم التزم المذهب الواقعي ولم تنجل حتى الان غبار المعركة النقدية في القاهرة بينه وبين الدكتور رشاد رشدي لكي نتناساها بسرعة .

اننا نطالب بالوضوح والمنهجية على اية حال وتلك مسألة اخرى كما أرى .

بغداد — لبيب الصباغ

رد على نقد

بقلم احمد حسن ابو عرقوب

اتهم الاديب حسين السواحري في العدد السابق من الاداب قصيدتي « جدب » بانها مسروقة افكارا واخيلة عن قصيدة السياب « مدينة بلا مطر » وانها لا تعدو ان تكون سوى اشباح باهتة متقطعة الاوصال لها . وازاء هذا احب ان اناقش الكاتب الكريم بهدوء فيما ذهب اليه :

١ – بعد ان يورد الكاتب عبارات الاتهام عن التقليد والسرقة والتمثل الواعي يفرغ الى مجال التطبيق حيث يقول : « اهل مدينة بابل هم اللاجئون ، تموز في قصيدة السياب هو اله الخصوبة هنا ». وهو اذ يدعي ذلك نسي ان تموز هو المحور الرئيسي لقصيدة السياب وعليه تدور تطورية الحركة في القصيدة . انه الدعامة الرمزية الاولى لقصيدة السياب والتي تنبثق عنها جزئيات القصيدة . وهذا عكس « اله الخصوبة » في جدب الذي هو رمز عارض جاء على هامش احداث القصيدة .. تماما كأي رمز اخر مساعد ، كالشمس والجراد ، والموسم المجنون والترع والليل . وكل هذه الرموز هي جزئيات جاءت لترفد الفكرة الرئيسية للقصيدة وهي جدب المواسم التي ينتظرها اللاجئون لتهل بعطاء العودة .

يحاكم الناقد الصور الشعرية في القصيدة محاكمة منطقية فيتساءل بعجب ان كان الثري يشرب في المقطع : « .. وشفاهنا يبست » شربنا ادمعا – ملحا ، ترابا فيه وهم من رطوبة » . ولو اردنا ان نجاري الناقد في تعليله الواقعي المطبق على الشعر لرفضنا غالبية الاعمال الشعرية التي تعتمد على مثل تلك الصور . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى.. فالتراب الرطب يشرب للتدليل على قسوة الجدب ونفاد الماء .

٣ – قال الناقد : « وارى ان الموسيقى الداخلية تكاد تنعدم في القصيدة » . واحب هنا ان استوضحه متى كان الشعور بالموسيقى الداخلية واقعا محسوسا متفقا عليه من غالبية النقاد ؟ ان الاحساس الموسيقي الدافية منذ كان ، تذوق ذاتي لا يخضع لقواعد مقرره مسبقا. ... احس به في عمل شعري ولا يحس به الاخرون. اما عيبه لي على ربط مقطع « طر يا غراب » بما سبقه فلا أدل على ان الناقد الكريم قليل المطالعة للشعر الحر . والا لادرك من توه ان الارتباط النغمي غالبا ما يحصل عن وعي وادراك لقيمة التدفقية النغمية في خلق جو موسيقي يشد السامع من البداية الى النهاية ليظل اسيرا للتدفق الموسيقي ، وهذه هي وظيفة الشاعر الواعي منذ ادرك قيمة الموسيقى في خلق الاجواء الانفعالية والتي لا تقل تأثيرا عن الافكار الشعرية ذاتها . وفي هذا المقام تعرض لي سانحة عن التمثل في الشعر. ان التمثل الشعري ناتج عن انفعال معجب بعمل شعري جيد حيث يخرج القارىء المتمثل وهو اسير للدوامة الوزنية والفكرية للقصيدة . وهكذا فهو في غالبية الاحيان يقع ما ينظمه وكأنه امتداد نغمي للعمل المؤثر اذ لا يزال الصخب الاول سائدا في لاواعيته فاذا بالقصيدة المتأخرة وكأنها نسخة طبق الاصل وزنا وفكريا وهذا ما لم يقع في قصيدة جدب اذ انها من وزن شعري مخالف لقصيدة « مدينة بلا مطر » .

٤ – في محاولته لاقامة الدليل على التشابه بين « مدينة بلا مطر » وبين « جدب » يستشهد بالمقاطع التالية « يا رب كم سرنا وراء الغيم – نحمل طفلة عمياء ، شيخا فانيا – ابريق ماء – من الف يوم والجرار بدون ماء » وقول السياب « وسار صغار بابل يحملون سلال صبار – وانية من الفخار قربانا لعشتار » والتقائي بالسياب في هذا المقطع ليس تمثلا ، انه استغلال شعري لعادات شعبية موجودة واقعا في بلادنا العربية ، فعندنا في الاردن يخرج الناس في سنوات القحط يؤدون صلوات الاستسقاء ، ويسيرون في مواكب ينشدون اناشيد ترضية للغيم عله يمطر ويجود بالخير . ان رمز الصبار والفاكهة الفخارية في قصيدة السياب قرابين تقدم للالهة عشتروت . وهي قرابين ترضية وتملق . بعكس تلك المصائر البائسة والهياكل الحزينة التي تتجلى في الشيخ الفاني والطفلة العمياء والجرار الفارغة . ان الجدب واقع طارىء محدد الزمن في قصيدتي بعكس جدب السياب المطلق – ذلك الجدب الطويل الامد .. والذي سوف تغسل من خطاياه بابل وتتمرد عليه .

اما مقارنته بين « العذارى » في جدب ومدينة بلا مطر فلا اظن ان جاهلا يقدم على مثل ذلك اذ ان المعنى في المقطعين مختلف اختلافا كبيرا. فبينما نجد العذارى في جدب رمزا لاستعداد واقداما على التضحية مهما كان الثمن غاليا ، نرى عذارى السياب نساء نادبات يتحلقن حول عشتروت يبكين الجوع والفقر . ان عذارى « جدب » رمز منتزع من الميثولوجيا الفرعونية ايام كان الفراعنة يقدمون لاله النيل قربانا صبية عذراء ليفيض بالخصب وهنا ابتعاد عن موطن الرمز بين القصيدتين، « لو عنيتانيل ، اله ، لانتقينا من عذارانا عروسا .. ولا اظن ان لفظة « النيل » الا كانت كافية من ان يقع الناقد الكريم في الخطأ.

اما في مقطع « ويكل عام نودع الاعماق اصحابا – الى يوم المعاد – خانتهم السحب الجديبة – جف دمع الشمس ما شهدوا مراسيم الحصاد » فلست ادري ما هو وجه الشبه بينه وبين مقطع السياب « ولكن مرت الاعوام كثرا ما حسبناها – بلا مطر .. ولو قطرة – ولا زهر ولو زهرة – بلا ثمر كأن نخيلنا الجرداء انصاب اقمناها ».

في المقطع الاول انعكاس القحط عى الانسان مصحوب بتمرد عليه واصرار على تقديم التضحية الى ابعد الحدود . ومهما تكن النتائج.. اما في المقطع الثاني فيصور انعكاس الجدب على الواقع المكاني.. حيث يبس النخيل ، وجف المطر ، وماتت الازهار .» اين اذن هو وجه الشبه يا سيد سواحري ؟؟

كلمة اخيرة اسوقها للناقد الكريم .. ليس التشابه في التجربة وصدور الاعمال الشعرية عن تجربة موحدة سرقة ادبية اذ التجربة الجماعية ، التجربة القومية تتشابه ما تشابهت احداث الامة الواحدة. وذلك بعكس التجربة الذاتية التي تختلف باختلاف الافراد ونوعية تفكيرهم وثقافاتهم .

احمد حسن ابو عرقوب

حول « النقد الميتافيزيقي »

بقلم حامد الطائي

لقد كان الناقد الى وقت قريب يؤدي دور حلاق القرية ، وكانت كتاباته خليطا من مبادىء علم النفس والاخلاق والجمال والفلسفة . واما اليوم وبعد ان شبت كل تلك العلوم الانسانية عن الطوق فلم يعد النص الادبي ملكا للناقد وحده وبرز من يستطيع ان يهتك اسراره واحدا بعد الاخر (كيف يخلق ؟ سر تأثيره السحري ؟ علاقته بعصره ؟) حتى اصبحنا نتساءل : ماذا بقي للناقد اذن ليكتب عنه ؟ ورغم ان بعض النقاد جهلوا او تجاهلوا الموقف الذي يمثل الوجه الحقيقي لازمة النقد ومضوا يؤدون دور عالم النفس والفيلسوف وعالم الجمال فكانوا صورا مهزوزة من هؤلاء ولم يكونوا نقادا على كل حال فان المحاولات العديدة التي بذلت للاجابة على ذلك السؤال لم تكن في المستوى المطلوب اذ ان المهمة شاقة حقا وانها تعني قبل كل شيء خلق مفهوم جديد للنقد وما اصعبه !.

واستطيع ان اقول ان محاولة السيد مجاهد عبد المنعم مجاهد في العدد السابع من مجلة الاداب لم تكن ناجحة هي الاخرى ايضا في اداء المهمة !

١ ـ لقد جاءت العلاقة بين الادب والفلسفة في مقال السيد مجاهد مضطربة ومتناقضة تنتقل من الفصل التام الى الذوبان التام . فبينما يقول ان « رؤية الفنان رؤية اخلاقية وليست فلسفية » ويجعل الادب نقيضا للفلسفة على اساس انهما وليدا نقيضين اخرين هما العقل والعاطفة ، تلك التفرقة التي لم يعد لها مجال في ميدان العلوم الانسانية ولا تكفي لفهم فلسفات « عاطفية » كفلسفة نيتشه وبرجسون وسارتر او اداب « عقلية » كنتاج اندريه جيد وبرنارد شو وكافكا ، اذا به يقول « قد نقول ان اساس القضية الاخلاقية اساس فلسفي » وينتهي الى اعتبار الاديب مجرد داعية فلسفة مهمته اقناع الناس شعوريا ونقل القضية الفلسفية من صعيد القلة الى صعيد الكثرة خاصة وان عالم الجمال يساعده في تزويده بمعلومات عن ميكانيزم الابداع والمجموعة البشرية التي يجب ان يكتب لها ! فلا يبقى سوى ان يفتح فمه ويطبعه ليخرج ادبا للناس ! وهذا الكلام لايصح في الحقيقة الا بالنسبة لدعاة « الفلسفة الجاهزة » من تلامذة الطيب الذكر جدانوف !

٢ ـ والنتائج التي أتى بها السيد مجاهد بصدد علاقة الناقد بالاخرين جاءت مخالفة لمقدماته ايضا ، فبينما يذكر ان الاساس عند الاديب في انتاجه اساس فلسفي وعلى الناقد ان يكون ملما بالفلسفة التي استمد منها الاديب مقوماته اذا به ينكر على الناقد ان يتخذ موقفا اخلاقيا ! فاذا كانت القيم الاخلاقية احد ابواب الفلسفة الشهيرة فكيف يتسنى للناقد ادراكها ككل بدون القيم .؟ وماذا يبقى للناقد ان اهمل دراسة الاخلاق في انتاج الاديب وهي اساس ذلك الانتاج كما يقول السيد مجاهد نفسه ؟.

وبشأن العلاقة بين الناقد وعالم الجمال جعل السيد مجاهد دراسة القواعد العامة للنوع الادبي ـ وهذا يذكرنا باراء ماركس في الخلود الادبي ـ من اختصاص الاخير فحسب وفي نفس الوقت فرض على الناقد ايجاد العلاقة بين تلك القواعد العامة والخصائص التي يتميز بها انتاج كل اديب . فكيف يتم ذلك مادام الناقد يجهل الطرف الاول من الموضوع ؟. وما دام السيد مجاهد لم يمثل لنا بعض تلك القواعد العامة فبامكاننا وضع الناقد موضع عالم الجمال والعكس بالعكس دون ان يمنعنا احد من ذلك ؟!

٣ ـ ان السيد مجاهد لم يأت بجديد عندما ادعى اكتشاف سر قصة الاخوة كرامازوف الا وهو وضع الاشتراكية امام الميتافيزيقا ـ ولا ندري هل كانت مصادفة عابرة في ان يدرك السيد مجاهد ذلك الان مع نشر افكار ادام شاف المفكر البولندي حول العلاقة بين الماركسية ومعنى الحياة .. فقد كانت القضية واضحة لكثيرين واشهرهم البير كامو الذي كتب ان دستوفسكي لم يكن يريد دينا غير اشتراكي ولا اشتراكية غير دينية .

٤ ـ تظل عبارة « النقد الميتافيزيقي » بلا معنى محدد جديد حتى نهاية المقال ويظهر ان السيد مجاهد لم يرهق نفسه من اجل ذلك وحتى الاسم نفسه انقلب الى نقد تساؤلي فنقد علمي فنقد فلسفي فنقد باطني ... الخ .

ملحوظة ـ لقد كانت مقالات عدد الاداب ـ وبضمنها الافتتاحية نقدية ادبية قاطبة !! ويظهر ان النقد اصبح يستجيب اكثر من الفنون الادبية الاخرى لنزوع الفكر العربي الشديد الى التجديد والبناء وابتداع قيم جديدة وان لم يخل من فرض قاس للذات في بعض الاحيان !

حامد الطائي

الاعظمية ـ العراق

رأي في « رسالة ... وقصيدة »

بقلم خليل السوامري

تلبية لرغبة مجلة الاداب في ان يبدي القاريء رأيه في الرسالة والقصيدة المنشورتين في زاوية صندوق البريد من العدد الماضي فانني اكتب هذا الرأي مبتدئا بالرسالة . .

ترى لو نظر الدكتور سهيل ادريس حقا الى القصيدة « بعين النقد العادل المنصف التي تميز الصالح من الطالح » فهل كان بوسع قصيدته ان تجد مكانا على صفحات الاداب ؟ وهل تستحق قصيدة ذات موضوع مهتريء اهتراء ربطة صاحبنا مثل هذه المظاهرة والصخب ومثل هذا التظاهر بالحرص على التراث العربي الذي سينقرض لمجرد عدم نشر هذه القصيدة ؟ وهل ظن ان الجراح التي اصابت الاداب ـ على حد زعمه ـ ستكون اشد ايلاما لها من الجرح الذي اصابها لنشر قصيدته ؟

انني لا استطيع ان اقرأ قصيدته هذه دون ان اضحك من نبوغه الفذ الذي خلق قصيدة رائعة ومن غروره الاجوف الذي اوهمه ان قصيدته هذه قصيدة !

اما من حيث تقويمكم للادب فيكفي انه لايدري كيف يقوم الادب ، ولا ادري كيف يوهمه منطقه المعكوس العجب من هذه الظاهرة ، ظاهرة وجود الزهر والعوسج في روض واحد متناسيا ان الماء لا يخلو من زبد ، وكأن مجرد قول ابن الرومي لهذا قد جعله حقيقة واقعة ، وانا اوافقه على قول ابن الرومي هذا مادام يصر على اعتبار قصيدته من النوع الاول .

اما دعوته الى « الابقاء على الشعر العربي صحيحا معافى مما يسمى بالتجديد » فهي دعوة قديمة قدم الداعين لها كادت تنقرض ولا زال يتشبث بها جماعة بعضهم يصر على عدم فهم معنى التجديد وبعضهم الاخر لايفهم حقا معنى هذا التجديد ، ولا اشك لحظة في ان هؤلاء يفهمون من الشعر شكلا وحسب دون النفاذ الى المضامين والاعماق ، وحسبهم بهذا جهلا على جهل .

وابياته التي تشكل شبه قصيدة يحتار الناقد في نسبتها اذ انها سفاح لاتكاد تنسب ، فان نسبت الى القديم فليس فيها الا عيوبه ومساوئه ، وان نسبت الى الجديد فليس فيها الا مايتبرأ منه الجديد ، اما ان يحاول الشاعر استدرار عطف القراء باحالته الحكم لهم فهذا ليس بمنجيه من نقد عادل صريح كما يريد .

وليعلم الشاعر الناشيء انني في نقدي لقصيدته أتوخى ذكر المساويء او بيان نقاط الضعف التي اشعر بها في قصيدته ، اما نقاط الاجادة فلست لاذكرها لانها من الضرورة التي لايحمد لها شاعر الا اذا بان منها عنصر التفوق .

من النظرة الاولى الى القصيدة بل ربما من قراءة عنوانها يتبين لي ان صاحبها تتلمذ على دواوين نزار قباني واشترك معه في الوهم بان التجديد هو في المعالجة الشكلية لشيء يوهم بانه موضوع ، ويمثل شكل موضوع ، بغض النظر عن قيمة هذا الموضوع الانسانية او الفنية ولست هنا لانساق خلف دعاة الادب الملتزم ولكن يتحتم على القصيدة الخالدة التي تخطو بالشعر الى الامام او على الاقل تبقي على مستواه ان يرتبط موضوعها بالمصير الانساني ولو في تجربة فردية لكي تغدو تراثا مضيئا للاجيال وتصبح رمزا فنيا لكل تجربة في شمولية مطلقة .

ومهما يكن فموضوع القصيدة عرضي تافه حاول به الشاعر ان يعبر

عن حبه وتفانيه ، وكانت تضحيته العظيمة في سبيل حبيبته شيئا ماديا زائلا يخلو من اية قيمة ، حتى القيمة المادية تنعدم في ربطة العنق المهترئة المرتبكة الالوان .

فاية قيمة لعينيها اللتين جعل فداءهما ربطة العنق ؟ واية قيمة لربطة العنق التي اصبحت قلادة الهوى العذري اذا بليت هذه الربطة ؟ ألم يجد رباطا لهواه العذري غير هذه القطعة من القماش التي يجعلها طورا مراة ابانت فيها مدلهته عواطفها المشبوبة ، وتارة قلادة الهوى ، وطورا اخر بحرا من العطور تغرق فيه ملابسه التي جعلها بدورها صالونا تتبادل فيه العطور بين ملابسه وربطة عنقه ؟ وقد يبدو ان مايعمل هذا هو الخيال الرهيب وهذا الخطأ هو بالضبط الخطأ الكبير الذي وقع فيه نزار ايضا فالخيال يجب ان يكون رحبا لا في وعي الشاعر ولكن في « لاوعية » اي في ذهوله وانفعاله ، ورحابة الخيال في هذه القصيدة وفي معظم قصائد نزار هي في الامور التافهة التي لاتستحق اكثر من اشارة عابرة فقط ، ولكن توسع الشاعر فيها عن قصد لا ينم الا عن عجز منشؤه ضالة التجربة وقلة الانفعال .

وفي هذه القصيدة يحاول الشاعر ان يجدد فعلا ، لا ان يجدد فحسب ولكن ان يسكب الشعر الجديد في القالب القديم ، فيجمع بين المنظر والمخبر ولكنه يفشل في الحصول على بعض هذا اذ ان محاولة تجديده هذه جعلت من قصيدته مزيجا من الكلاسيكية والرومانسية .

وربما وفق الشاعر في انسياب قصيدته ، ولا اعني بهذا نضوج التجربة التي تؤدي بدورها الا اكتمال اللحن وتناسقه ، الا ان نفورا غريبا يحسه القارىء يشوب بعض الابيات مبعثه استعصاء بعض القوافي مما ادى الى اقحام بعض التشابيه التي ارى ان لا لزوم لها ، والاكثار من الكي واللهب والحرق والغضب ، كما ان القارىء يشعر بوضوح بالبعد الروحي الذي يحاول اخفاءه بالتظاهر بالانفعال .

اما بيته هـذا :

تشتاقها كل اثـوابي تباركها   تسخو عليها بعطر خالد العبق

فلست ادري لماذا يذكرني سريعا ببيت نزار :

حتى فساتيني التي اهملتها   فرحت به رقصت على قدميه

وفي ختام كلمتي اود ان اهمس في اذن الشاعر الناشىء كلمة نصح لاتخلو من الم وهي ان يجدد فعلا ومن اعماقه ، وان يبدأ من جديد دون غرور فهو مازال في بداية الطريق الشعري .. والمستقبل امامه يفتح بابه لمن يستحق الدخول .

القدس   خليل السوامري

قصـــيدة رائعـة !

بقلم خالد سلامه

السيد رئيس تحرير مجلة الاداب الغراء ..

تحية عربية وبعد !

لشد ما كانت دهشتي عظيمة حين كنت اتصفح العدد الثامن لشهر اب من مجلة الاداب .. ووقع بصري على طلب موجه الى القراء لابداء رأيهم في قصيدة « الربطة الجريحة » للاستاذ الشاعر السيد شكري هلال .. ولست ادري ما الذي حدا بالاداب لان تتصرف هذا التصرف نحو الشاعر ونحو قصيدته .. فمما لا شك فيه ان القصيدة رائعة ولا تحتاج لرأي القراء قبل نشرها كقصيدة رسمية في عداد القصائد التي تحويهـــا صفحات الاداب !

والقصيدة لايمكن ان ننكر جودتها ، وجزالة الفاظها وبلاغة معانيها وقوة تراكيبها وهي بأي حال من الاحوال اجود واكرم من اي قصيدة نشرت في العدد نفسه ..

فالاستاذ الشاعر يشبه ربطة العنق التي اختلطت الوانها « الابيض مع الاحمر » بالشفق .. وهو قد وفق في هذا بكثير انه يقول « لاتغضبي ان بدت حمراء كالشفق » .

وهو يبين انه قدمها لها بيضاء جميلة وقد زينتها نقاط حمراء جميلة وهذه تدل على مافي قلبه من صفاء واحتراق ..

« اتتك بيضاء مثل الوجه زاهية   مذ حدثتك اكتوت من قلب محترق »

ومن ثم يشرح سبب رجوعها حمراء .. انها ابانت عما يكمن في قلب الصب من احتراق . وقلق

« لم تصبغيها دما ، لكن انبت بها   عواطفا من لهيب الحب والقلق »

ولا يمكننا ان نقيس هذه الابيات او غيرها من ابيات القصيدة بما يسمى ابياتا في اية قصيدة من قصائد العدد نفسه .

مارأيك في قول خليل الحاوي في قصيدة « الجروح السود »

« تفل بلا طعم .. بقايا الحب تفل الحقد في القرار »

وقول السيد رفيق الخوري في قصيدة الاختناق ..

« تأكل غربتي الدروب ..

« كمبرد تأكلني الدروب ..!

اننا نبارك خطوة التجديد في الشعر ولكن ان ينزل الشعر الى هذه المكانة والى الدرك الاسفل .. انه لما يؤسف له ان جماعة من الشعراء قد قادوا هذه الحملة التافهة وشجعوها حتى بلغت هذه الدرجة ..

لقد قرأنا للسيدة الشاعرة نازك الملائكة وللشاعرة فدوى طوقان .. فرأينا عندهما تجديدا مع الاحتفاظ بالاوزان الشعرية المعروفة.. وهذه الخطوة المباركة هي التي نشجعها . ونتمنى من هؤلاء الذين حملـوا رسالة التجديد ان يحافظوا عليها وان لايعتدوا على كرامة الشعر العربي الموزون .

ولست ادري لماذا نذرت الاداب نفسها وقفا على الشعر الحديث ؟حتى طغى على جميع صفحاتها ولم نعد نرى أي قصيدة من الشعر العربي الموزون .

وهذا مما يزيد العجب ، ومما يدعو للاسف .. ان مجلة كمجلة الاداب الراقية لاتنشر بيتا واحدا من الشعر الموزون .. وهذا قد يعود الى عدة اسباب ..

١ ـ اما ان يكون الشعر العربي الموزون قد انحط الى الدرجة التي لايسمح فيها بنشره في مجلة كمجلة الاداب ..

٢ ـ او ان الاداب آلت على نفسها ان تحمل رسالة الشعر الحديث الذي هو عبارة عن اشطار ابيات ينقصها الوزن .. والالفاظ المتينة ، والتراكيب القوية ... وهو عبارة عن مجموعة من الفواصل والنقاط .. والكلمات ليس الا ...!

٣ ـ او ان الحكاية حكاية واسطات كما ذكر الشاعر في رسالته الى سيادتكم ..

٤ ـ ونعود الى قصيدتنا..فقد يكون هناك عداء شخصي ما بين مجلة الاداب والشاعر المذكور ..

والا لماذا لا تنشر الاداب اي قصيدة له ؟! مع انه كما يبدو من رسالته انه قد ارسل لمدة قصائد قبل هذه القصيدة وكان نصيبها الاهمال .. دون الالتفات اليها .. ومما لاشك فيه ان الشاعر لايقل شأنا عن محيي الدين فارس او فاروق شوشة او خليل الخوري او نازك الملائكة وغيرهم ممن ينشر لهم في الاداب .. ولسنا نبالغ حين نقول انه قد يفوقهم .. فلقد قرأنا للشاعر المذكور قصائد عديدة في مجلة « الاديب » وهي لاتقل شأنا عن مجلة الاداب كذلك نجد مجلة « الانطلاق » اللبنانية ومجلة « الثقافة » تنشران له كذلك اننا قرأنا له عدة قصائد في مجلة « الادب » المصرية التي يحررها الامناء ..

ان قصيدة « الربطة الجريحة » من الجودة بحيث لايمكنكم التـردد في نشرها مطلقا ..

انني اتوجه بخطابي هذا الى سيادتكم عسى ان تنصفوا الشاعـر المذكوروتنصفوا القراء الذين افتقدوا ما تفتقر له صفحات الاداب افتقدوا « شعرنا العربي الاصيل » . وبالتالي انصفوا مجلة الاداب نفسها ..

ولست اريد بهذا الطعن في مجلة الاداب او الانحياز الى الشاعر ..

انما هي كلمة صريحة اقولها .. من اجل الشعر العربي الموزون ومن اجل الشعراء ومن اجل القراء عسى ان تلاقي صدى لدى سيادتكم .. كي تعود صفحة شعرنا العربي الى مجلة الاداب وبذلك تكونون قد اديتم الرسالة كاملة .. غير منقوصة ..

واعود لأؤكد لسيادتكم ان القصيدة رائعة ونحن بحاجة الى امثالها ..

والله ارجو التوفيق .. وتقبلوا فائق الاحترام سيدي .

دير الزور   خالد سلامه